كيف نتأدب مع المصحف

كتابة قراءة تعلماً استماعاً

محمد رجب فرجاني

الطبعة الثانية

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

الباب الأول وفيه أربعة فصـــول

الباب الثانى وفيه خمسة فصـــول

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث وفيه خمسة فصول

الباب الرابع وفيه ستة فصول

الباب الخامس وفيه فصلان

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يليق بذاته ، وأثنى عليه ثناء لا أحصيه عليه ، والصلاة والسلام على النبى الأمى المبعوث رحمة للعالمين . . وبعد .

فقد أخذ صاحب الفضيلة الشيخ محمد رجب فرجانى القلم ليخط به آداب التعامل مع كتاب الله ، وهو إذ يكلف بهذه المهمة ويعزم فى تلهف شديد نحو التذكير بها إنما يسجل بقلمه ما يذكر به لسانه فهو الواعظ المدره ، والخطيب المقوال . وكثير من الوعاظ ضاعت الحكمة على أفواههم بخلو مكانهم فى الحيـــاة ، ولو أنهم سجلوا دراساتهم وصنعوا صنيع صنوهم صاحب هذه الرسالة لأثروا دنيا الناس بأقوم ما ينفع المؤمنين ، وأغنوا ثقافة العامة بما يحجم به خواص الدارسين والباحثين . فلله دره من مذكر بلسانه ، ولله دره من مذكر بقلمه ، باقة يانعة يقدمها إلى أهل هذا العصر صاحب هذه الرسالة هى جماع آداب المؤمن مع كتاب الله بل مع الله صاحب الـكتاب .

ولا ريب أن المسلمين فى حاجة ماسة إلى التفقه فى هذا السلوك القرآنى ، وقد ظلوا فى هذه الحاجة الملحة لا يسعفهم بالتذكير بها إلا همهمات متناثرة فى دروس الفقه هنا وهناك لا يكتمل لهـا منهج ولا يستقيم لهـا نمط ، حتى تيسر لهم بصورة جيدة مثل هذا البحث .

ومعاذ الله أن أنسى ما ألف من كتب فى خدمة القرآن وهو الكتاب الوحيد فى الدنيا الذى لقى من حفاوة الإنس والجن واهتمام الثقلين به .

وقد كتب عن القرآن باختلاف مقاصد الكاتبين من نحا نحو التفسير .. إلى متناول لبلاغته إلى كاتب فى إعرابه إلى كاتب فى أحكامه إلى دارس لقصصه إلى جامع لعلومه إلى موقف على قراءته وتجويده وضابط لترتيله ومخارج حروفه ، مما يجعل مكتبة القرآن أغنى مكتبة عرفتها الحضارات على مدى الدهور والأعصار .

فإذا جاء من يقطف من أزاهيرها ومن يضوع الحاضر بأريجها ، فقد استحق الثناء من الناس والمثوبة من الله . أكثر الله من الناظرين فى كتاب الله الحافظين لحرماته ، الذائدين عن رحاب قدسه أمثال صاحب هذه الرسالة ونفع بها قارئها وكاتبها وناشرها آمين .

وصلى الله على أصدق من مشى على الغبراء وأعظم من أظلته السماء محمد الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه والمحبين لسنته وسلم .

وكتبه فقير عفو ربه

محمد نجيب المطيعي

صاحب تكملة المجموع شرح المهذب

الإهــــداء

هذا الكتاب . .

- أحتسبه عند الله عز وجل الذى نزل القرآن علينا ضياء ونورا .
- وأبغى به حب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بلغه إلينا بشيرا ونذيرا .
- وأهديه إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين نقلوه إلينا كما أنزل صحيحا سليما .
- وأهديه إلى التابعين وتابعيهم وإلى العلماء من بعدهم الذين كرسوا أنفسهم وأموالهم للذود عنه فبينوه للناس تبيينا .
- وأهديه إلى المسلمين المؤمنين الذين يسيرون على هدى القرآن الكريم فينهجون منهجه وهم يرون فيه سعادة البشر أجمعين .

محمد رجب فرجانى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه البررة الأطهار .

أما بعـد :

فإني أستعين بالله عز وجل راجيا منه العون والسداد فى تقديم هذا الموضوع إلى القارئ المسلم . . وهو أول موضوع مختصر فى هذا الباب حاولت إعداده بعد جهد ودراسة أحتسب أجرهما عند واهب الحياة ومالك العطاء .

والحق يقال . . إن موضوع هذا البحث ليس بالهين اليسير على كل باحث لأن مسائله منثورة فى بحور الكتب ، الأمر الذى يجعل الباحث فيها يروح ويغدو . . ويقف ويتأمل . . ويتقدم ثم يتردد قبل الخروج منها برأى والحكم فيها بشئ . . فيعود ليلتقط ما بين سطور الكتب لعله يأنس إلى رأى فى القديم أو الحديث ، فيجمع ما يمكن جمعه . ويستدل بالشواهد من الأدلة الثابتة الصحيحة من القرآن والسنة . وآراء الصحابة والعلماء الثقات من السلف والخلف ، ومناقشة بعض الآراء دون إسهاب ليخرج فى آخر الأمر ببحث يوفر على القارئ عناء الاطلاع ، والتنقيب بين ثنايا المصادر المتعددة المتناثرة .

هذا وقد قسمت هذا الكتاب إلى أبواب ، وكل باب إلى فصول ، وكل فصل يشتمل على مسائل، وهذه المسائل تتضمن أحكاما متنوعة مثـــل :

* استقطاع آيات من القرآن الكريم وكتابتها فى لوحات معينة لبيعها .
* تصغير الخط إلى درجة عدم امكان القراءة بالعين المجردة
* كتابة القرآن فى الجرائد والمجلات وكل ما هو معرض للتلف .
* اقتراح كتابته فى المصاحف بالرسم الإملائى الحديث وترك الرسم العثمانى .
* كتابته بالذهب والفضة .

وكذلك أحكام :

* قراءته بالتغنى أو التلحين الموسيقى وآداب القارئ
* اقتران القراءة بالأعمال الدنيوية .
* البيع والشراء والنقل إلى بلاد الكفر .
* آداب السماع وحكم الاستماع إلى القرآن الكريم مع القيام بالعبادة أو الأعمال الدنيوية ، وحكم الإعراض عن استماعه . وغير ذلك من الأحكام التى سوف تفيد القارئ لهذا الكتاب .

والحمد لله على منته بالتوفيق ؛ إذ قمت بمحاولة التصرف ما أمكن متحريا الرأى الحق ، والقول الراجح ؛ وقد خرجت أحاديثه وعزوتها

إلى مصادرها سواء من نقلوا عنها مباشرة أو ممن نقلوا عنها غير مباشر ، منبها عليها بأرقام بعضها ، أو أرقام الصفحات التى ورد فيها البعض الآخر لتسهيل متابعتها فى كتبها على من يريد ، وبهذا لا أكون زاعما ولا واهما أنى أتيت على كل صغيرة وكبيرة من الأحكام المتعلقة بشئون كتاب الله فقتلتها بحثا وتمحيصا .. كلا .. إنما هى محاولة على الطريق لتلفت أنظار العلماء . . وتشد عزائم الباحثين ليبحثوها من جديد حتى يقدموا لجمهور المسلمين حلولا لمشاكل معاصرة إزاء القرآن الكريم .

وكيف لا . . وكتاب الله كتاب مفتوح للبلدان والأزمان ولا يخلو أى جيل من باحثين فى شئون القرآن . .

وسأكون قرير العين لصدور أى بحث فى هذا الموضوع يظهر بعد بحثى هذا مكملا له أو مناقشا إياه ومعلقا عليه بالنقد أو بالنقض . . فالمهم هو إظهار الحق فى هذه الأحكام سواء على يدى أو على يدى غيرى لأنها أحكام تتعلق بالكتاب الخالد الذى لا يأتيه الباطل من من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . وفوق كل ذى علم عليم .

وقد سميته « كيف نتأدب مع المصحف » نظراً لما رأيته من تهاون بعض الناس فى كتابة القرآن أو قراءته أو سماعه أو تعلمه حتى يقف المسلمون على واجبات الأدب التى تليق بمقام القرآن الكريم . .

وبعد . . فهذا الموضوع أقدمه قربة لله سبحانه وتعالى عساه أن

يغفر خطيئتى ، ويقبل توبتى ، ويزداد إيمانى ويقينى فيعمنى فضله ورضوانه .

والله أسأل أن يجعله فى صحائف أعمالى إنه سميع مجيب .

« المؤلف »

الفيوم فى يوم الاثنين ٥ من شهر رمضان سنة ١٣٩٣ ه
أول أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

تمهيد

القرآن كتاب الله الذى ختم به جميع الرسـالات . فجاء مصلحاً للدنيا مرشداً إلى الآخرة فجمع بين صلاحيهما ، مبشراً بالوعد ، منذراً بالوعيد . . جاء مصدقاً لمـا قبله من الكتب يؤيدها فى الحق والصواب ، ويبرئها مما دس فيها من خطأ ، وما طرأ عليها من تحريف وتغيير حيث سـلم هو من كل ما شابها ، وانفرد بالحفظ دونها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

والقرآن على مدى ثلاثة وعشرين عامـاً هى فترة نزوله شرع دفاعه فى ميدانين :

الميدان الأول : تحدى المشركين :

بمجرد أن أعلن النبى صلى الله عليه وسلم رسالته على الناس هاج المشركون وماجوا وشرعوا فى معارضة القرآن الذى أنزل عليه صلى الله عليه وسـلم فزعموا أنه شعر أو كهانة أو سحر أو أساطير الأولين ، وتمثلت كل هذه الدعاوى فى الاجتماع الذى عقده أبوجهل وأبو الوليد عتبة بن ربيعة وآخرون . . وتحاوروا فيما بينهم فقالوا : « إنه قد التبس علينا أمر محمد فلو التمسنا رجلا عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره ؟ فقال عتبة : والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر ، وعلمت من ذلك علماً لا يخفى على إن كان كذلك . فقالوا ائته فحدثه . فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « يا محمد أأنت خير أم قصى بن كلاب ..؟! أأنت خير أم هاشم ..؟

أأنت خير أم عبد المطلب ؟ أأنت خير أم عبد الله . . ؟ فيم تشتم آلهتنا ، وتضلل آباءنا ، وتسفه أحلامنا وتذم ديننا .. فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألوية فكنت رئيسنا ما بقيت ، وإن كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من أى بنات قريش ، وإن كنت تريد المــال جمعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك[1] من بعدك ، وإن كان الذى يأتيك رئيا[2] من الجن قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك » .

كل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت .. فلما فرغ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قد فرغت يا أبا الوليد ..؟ » قال : نعم .. قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فاسمع منى » قال يا بن أخى أسمع .. فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننــا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى

---

(١) عقبك : ذريتك .

(٢) رئيا من الجن : مسا من الجن يعنى مجنون .

إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود [1] » .

وهنا وثب عتبة ووضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناشده الله والرحم ليسكتن ورجع إلى أهله . ولم يخرج إلى قريش . فجاءه أبو جهل فقال : أصبوت إلى محمد أم أعجبك طعامه . . ؟ فغضب عتبة وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً . ثم قال : والله لقد تعلمون أنى من أكثر الناس مالا ولكنى لما قصصت عليه القصة أجابنى بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم أن يكف . وقد علمتم محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب . فوالله لقد خفت أن ينزل بكم العذاب — يعنى الصاعقة — بعد ذلك توالت الآيات التى تتحداهم وتثبت عجزهم الكامل وهم أساطين البلاغة وأرباب الفصاحة فلم يستطيعوا الصمود أمامها .

وقد حكى القرآن ما قالوه : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » . فرد القرآن عليهم بقوله : « فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » فرد القرآن عليهم بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما »[2] .

---

(١) الآيات من أول سورة فصلت . هذا وقد أثبت الآيات التى قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم لكى يستفيد القارئ الذى لا يحفظ القرآن .

(٢) الآيات رقم ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة الفرقان .

وقد جاء التحدى فى القرآن على درجات فطلب اليهم أولا : أن يأتوا بمثله تمام المثلية من كل الوجوه ولو دعاهم ذلك أن يشاركهم الجن بالمساعدة .

فقال تعالى : « **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** »(١).

فقطع على الثقلين — الإنس والجن — أن لا يستطيعوا الإتيان بمثل القرآن .

ثانيا : قالوا إن محمدا افترى هذا القرآن من عنده وتقوله . فرد الله عليهم بقوله: « **أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** »(٢) . أى فليأتوا بمثله ولو كان متقولا .

ثالثا : قالوا إن هذا القرآن افتراه من عنده . فرد الله زعمهم هذا وطلب إليهم أن يأتوا بعشر سور مثله فى الإعجاز مفتريات . فقال تعالى : « **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**(٣) » .

رابعا : طلب إليهم أن يأتوا بسورة من مثله بقوله : « **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**

---

(١) الآية رقم ٨٨ من سورة الإسراء .
(٢) الآيتان رقم ٣٤ ، ٣٥ من سورة الطور .
(٣) الآية رقم ١٣ من سورة هود .

فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »[1] .

خامسا : طلب إليهم أن يأتوا بسورة مفتراة حسب زعمهم بأن محمدا افتراه فقال : **« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »**[2] .

سادسا : وصل بهم التبجح والعناد إلى أنهم إذا سمعوا القرآن يتلى تهكموا طالبين أن يأتيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقرآن غيره أو يبدله حتى يسمعوا . فيأتيهم الرد من السماء بهذه الآيات : **« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله . قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون »**[3] .

سابعا : لما أحجموا وأفحموا من هذا المنطق الناصع لجأوا إلى التهرب من سماعه ، فكانوا أول الأمر يسمعون فيسخرون وبعد ذلك صاروا ينفلتون من سماعه وسجل الله عليهم ذلك وتوعدهم الوعيد الأليم فقال تعالى : **« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون . فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون . ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون »**[4].

---

(١) الآيتان رقم ٢٣ ، ٢٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٣٨ من سورة يونس .

(٣) الآيتان رقم ١٥ ، ١٦ من سورة يونس .

(٤) الآيات رقم ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة فصلت .

فني آيات التحدي يقول لهم : **« إن كنتم صادقين »** ويقول : **« وادعوا شهداءكم من دون الله »** أو **« ادعوا من استطعتم من دون الله »** أي استعينوا بشركائكم أو بمن ترضونه من الشركاء . واستعينوا بآلهتكم التي تدعونها من دون الله ومع كل هذا عجز هؤلاء الناس عن الوقوف أمام القرآن في أسلوبه وأحكامه وأهدافه .

الميدان الثاني : تصديقه وتصحيحه لما سبقه من الكتب :

التصديق :

يقول الله تعالى في أول سورة آل عمران : **« الم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان »** .

فبدأت الآيات بذكر « الله » وهو لفظ الجلالة ، ذلك الاسم الذي لا يمكن إطلاقه على أي كائن من المخلوقات عظم أو صغر ، ثم نفت الآية الألوهية عن غيره سبحانه وتعالى وأثبتها له جل شأنه ، ثم جاءت باسمين من أسمائه الحسنى هما : **« الحي القيوم »** فالحي حياة دائمة أبدية وأزلية ، والقيوم القائم على كل شيء والقائم به وله كل شيء . ثم أخبرت الآية الثالثة بتنزيل الكتاب – وهو القرآن – على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق الذي لا يتطرق إليه شك ، وبالصدق الذي لا يشوبه كذب ، وبأنه مصدق لما سبقه من الكتب .

وهنا قد يسأل سامع هذا الخبر : ما هي الكتب التي بين يدي القرآن . . ؟

فيكون الجواب : **« وأنزل التوراة والإنجيل »** . . وجاءت كلمة

« الإنجيل » خاتمة الآية الثالثة لتبدأ بعدها الرابعة بقوله : « **من قبل هدى للناس** » فكأن الآية الثالثة — والله أعلم بمراده — تستطلع ما يدور فى أذهان الناس من استفهامات .. ماذا سيقول القرآن فى شأن التوراة والإنجيل . . ؟ أيذمهما على عادة الدساتير البشرية الوضعية إذ يذم اللاحق السابق فيكون الرد من الله شافيا : « **من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** » .

وما ذلك إلا لأن مصدر كل الكتب والرسالات السماوية هو الله الحى القيوم .. فالذى يؤمن بالله عليه أن يصدق بكلام الله سواء كان « قرآنا أو إنجيلا أو توراة أو زبورا أو ألواح موسى أو صحف إبراهيم » لأنه يؤمن بالأساس الأول المتين .. فالذى يثق فى الله الذى هو أساس إيمانه لابد وأن يصدق بما يصدر عنه .

ولذلك توعد الله سبحانه وتعالى فى آخر الآيات الذين يكفرون بكتابه أو يجحدون بآياته فقال عز وجل : « **إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء** » وكما بدأت الآيات بلفظ الجلالة ونفى الألوهية عمن سواه وإثباتها له بصفتى الحى القيوم ، ختمت أيضا بلفظ الجلالة والعزة الغالبة المالكة للانتقام . وهذا شأن الله الذى يطلع على كل شىء فى الأرض والسماء فى الماضى والحاضر والمستقبل سواء بسواء .

كان هذا إخبارا مجملا عن تصديق القرآن لما سبقه .. وهذا يستتبع تفصيلا لما جاء الاتفاق فيما بينه وبين ما سبقه من الكتب .. فاتفق القرآن الكريم — وهو معنى التصديق — فى أمور تتصل بالعقائد وبعض صفات المؤمنين ، وبعض القصص :

أما الاختلاف فنى التشريع . . لأنه لابد من ملاءمته لحياة البشر المتطورة .

ولذلك نجد القرآن يتناول جميع جوانب الحيـــاة البشرية : اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية وقضائية الأمر الذى خلت منه الكتب السابقة إلا قليلا ، وما ذلك إلا لأن رسالة القرآن خاتمة الرسالات فجاءت جامعة مانعة ومفصلة مبينة . . والأمثلة على ذلك ما يأتى :

أولا : ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس[1] ، قال : لما نزلت : « سبح اسم ربك الأعلى » قال صلى الله عليه وسلم : « كلها فى صحف إبراهيم وموسى » .

وباستعراض سورة الأعلى نجدها تتحدث عن قدرة الله عز وجل فى الخلق والتقدير وإخراج النبات وإقرائه القرآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلمه سبحانه بالجهر والخفاء وأحوال الناس إزاء التذكير ففريق ينتفع بالذكرى . . وفريق يحرم من الانتفاع بها ثم تختم السورة بقوله عز وجل : « إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » . فقد أورد ابن كثير فى تفسيره رواية عن الحافظ أبى بكر البزار عن ابن عباس[2] رضى الله عنهما ، قال :

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ١ ص ٣٨ ، ٣٩ طبعة الحلبى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة .

(٢) تفسير ابن كثير ط . الشعب بالقاهرة قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا نصر بن على ، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس ...

وروى النسائى قال : أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن على حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس ...

لما نزلت « إن هذا لفى الصحف الأولى . . » قال النبي صلى الله عليه وسلم: « كان كل هذا – أو كان هذا – فى صحف إبراهيم وموسى » .

ثانيا : لما نزلت « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وإبراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى »[1] .

قال عكرمة فيما رواه ابن جرير أن آية « سبح اسم ربك » مثل آيات سورة النجم .

ثالثا : أخرج الحاكم من طريق القاسم عن أبى أمامة قال أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد : « التائبون العابدون . . » إلى قوله : « وبشر المؤمنين »[2] .

وأنزل : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . . » إلى قوله : « هم فيها خالدون »[3] ، وأنزل قوله « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات . . » الخ الآيات[4] .

وهكذا نرى أن هذه الآيات كلها تناولت صفات المؤمنين (بصفة عامة) من كل أمم الأنبياء السابقين .

---

(١) الآيات رقم ٣٦ – ٤٢ من سورة النجم من تفسير ابن كثير عند تفسيره لسورة سبح اسم ربك الأعلى .

(٢) الآية رقم ١١٢ سورة التوبة .

(٣) أول سورة المؤمنين .

(٤) الآية رقم ٣٥ سورة الأحزاب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من كتاب (الإتقان) للسيوطى .

رابعاً : أخرج ابن الضريس عن كعب(1) قال : « فتحت التوراة بالحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » أول سورة الأنعام ، وختمت : بالحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » آخر سورة الإسراء .

وهذه الآيات تناولت خلق الله للسموات والأرض ، وتكون الظلمات والنور ، وإشراك الكفار من كل أمة بربهم ، وتناولت تنزيه الله عن اتخاذ الولد والشريك والولى .

خامسا : أخرج أبو عبيد عن كعب قال : أول ما أنزل الله فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا . . » الخ وهى الآيات من ١٥١ إلى ١٦٠ ، وقيل إن هذه الآيات اشتملت على بعض الآيات العشر التى كتبها الله لموسى فى التوراة أول ما كتب ، وهى : توحيد الله ، والنهى عن الشرك ، واليمين الكاذبة ، والعقوق ، والقتل ، والزنا ، والسرقة ، والزور ، ومد العين إلى ما فى يد الغير ، والأمر بتعظيم السبت(2) .

سادسا : أخرج البخارى رضى الله عنه عن عبدالله بن عمرو ابن العاص(3) رضى الله عنهما : أن هذه الآية فى القرآن : « يأيها

---

(١) الإتقان ـ والقرطبى عن الدارمى أبى محمد فى مسنده عن كعب الأحبار .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ١ ص ٣٩ .

(٣) البخارى كتاب التفسير (سورة الفتح) ٦-١٦٩ ، ١٧٠ وفى البيوع وذكرها ابن كثير فى تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب عن الإمام أحمد فى مسنده عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه اليمانى .

النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » قال فى التوراة : « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صما وقلوباً غلفا » .

سابعا : أخرج الدارقطنى من حديث بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيرى : **بسم الله الرحمن الرحيم** »[1] .

الهيمنة والتصحيح :

قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » .

قال الشيخ محمد رشيد رضا بعد سرده لأقوال الصحابة من المفسرين فى تفسير الهيمنة : « والظاهر من مجموع الأقوال أن المهيمن على الشىء هو من يقوم بشئونه ويكون له حق مراقبته والحكم فى أمره بحق »[2] .

أما تفصيل أمثلة الهيمنة فقد بينها الدكتور محمد أحمد الغمراوى[3] تبييناً لطيفاً ومفصلا فقال : « وأمثلة هيمنة القرآن على التوراة

---

(١) الإتقان : ١-٣٩ .
(٢) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٤٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .
(٣) الإسلام فى عصر العلم ص ١٥٠ وما بعدها .

كثيرة خصوصاً سفر التكوين ففيه أمور كثيرة يصححها القرآن : فيه مثلا أن حواء هي التي حملت آدم على الأكل من الشجرة . وأن الذي وسوس لحواء وحملها على الأكل من الشجرة قبل آدم هي الحية من غير ذكر للشيطان كأنه لا يد له في الإغواء ، والذين يريدون الجمع بين هذا وبين ما في القرآن يقولون : إن الشيطان لبس الحية وبلسانها أغوى آدم وحواء . . ولكن القرآن الكريم لا يذكر الحية ، ولا يحمل حواء وزر البدء بالأكل من الشجرة خلافاً لما أمر الله . . بل مفهوم آية سورة طه أن آدم هو الذي اقتنع أولا بالأكل طلباً للخلود بإغواء الشيطان وتزيينه ، وأن زوجه — ولم تذكر باسمها قط في القرآن — تابعته في ذلك ، وعلى أسوأ تقدير أكلت معه إن لم تكن أكلت بعده .

هذا هو المتبادر من قوله تعالى : « **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها** »[1] .

والشيطان وسوس إلى زوج آدم أيضاً حين وسوس إلى آدم بدليل آيات سورة الأعراف : « **فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** »[2] .

---

(١) الآية رقم ١٢٠ من سورة طه .

(٢) الآيات رقم ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة الأعراف .

لكن ليس فى القرآن الكريم آية تخص زوج آدم بالوسوسة ، أو تنسب الوسوسة والإغواء بالشجرة إلى غير الشيطان بواسطة الحية مثلا كما فى التوراة .

فالقرآن فى هذا المثل مهيمن على التوراة ومصحح لما جاء فى سفر التكوين .

مثال ثان : قد ذكر فى سفر التكوين من أنباء نوح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويوسف وإخوته ، وفى كل ذلك يهيمن القرآن عليه بالتصحيح تارة وبالتنويه أخرى .

فنى قصة نوح – فى التوراة – أن الطوفان جاء وعمر نوح ستمائة سنة ، وأنه مات وعمره تسعمائة وخمسون سنة ، وأنه ركب الفلك هو وأبناؤه وزوجه وأزواج أبنائه من غير ذكر لركوب أحد ممن آمن معه .

ولكن القرآن لم يتعرض لعمر نوح لا قبل الطوفان ولا بعده . واقتصر من ذلك على ما فيه العبرة والعظة . فذكر أنه لبث فى قومه يدعوهم إلى الله تسعمائة وخمسين سنة قبل أن يأخذهم الطوفان كما هو المتبادر من آية سورة العنكبوت : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين »[1]. فالقرآن يصدق ما هو صدق . ويصحح ما اعتوره الخطأ بالتغيير .

وكذلك الشأن فى قصتى لوط وإبراهيم . . فهو يصدق القصتين

---

(١) الآيتان رقم ١٤ ، ١٥ من سورة العنكبوت .

مثلا فى أن إبراهيم لم يرزق إسحاق إلا على يأس وكبر ، وأنه وزوجه أخذهما العجب حين جاءتهما البشرى وأنه امتحن فى أحد ابنيه إذ أمر بذبحه قرباناً ، حتى إذا خضع للأمر وهم بالذبح تداركه الله بلطفه وفدى ابنه .

وأنه جادل ربه فى قوم لوط حين علم أنه سينزل بهم العذاب وفى أن لوطاً جاءه الضيوف وأنه جادل قومه عن ضيوفه حتى وقاه الضيوف شر قومه ، وأمروه بالنجاة بنفسه وأهله قبل الصبح إذ سينزل بأهل المدينة العذاب .

هذا كما يصدقه القرآن . . أما ما يختلف فيه ويصححه فهو ما جاء فى سفر التكوين من أن زوجة لوط من الناجين مع أهله . ولكن القرآن يثبت أنها من الهالكين فى سورة هود « قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب » .

ويصحح القرآن ما قد غير من التوراة أيضاً حسبما ورد فى نفس قصة إبراهيم من أن الضيوف — وهم ملائكة — أكلوا الطعام مع أن طبيعة الملائكة لا تأكل . فجاء القرآن ليثبت أن الضيوف لم يأكلوا .. الأمر الذى أخاف إبراهيم منهم فقال القرآن : « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام . فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط »[1]

---

(١) الآيتان رقم ٦٩ ، ٧٠ من سورة هود .

وجاءت التوراة بأن إبراهيم حينما أرسل بالرسالة كان شيخاً . فجاء القرآن ليعلن مصححاً أن إبراهيم كان فتى شاباً فقال : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم »[1] .

وبالجملة أيضا فإن قصص الأنبياء فى الكتب السابقة وردت خالية من المواعظ ، كما أنها لم تبرز جهاد الأنبياء فى سبيل دعوتهم . وما قوبلوا به من عنت وجدال مثل جدال نوح لقومه ، أو شعيب أو هود ويوسف وموسى فى حين أن القرآن أفاض وأشاد بمواقف الأنبياء فى دعوتهم لأقوامهم وما بذلوه من جهود شاقة فى أسلوب أخاذ .

زد على ذلك أن التوراة جرحت أخلاق بعض الأنبياء تجريحاً شنيعاً مع أن أخلاق الأنبياء لا تعلوها أخلاق بشر .. الأمر الذى يتنزه عنه كلام الله ووحيه ، وهم أنبياؤه وأصفياؤه ومصطفون له ومبلغون لرسالاته .. فقد اتهمت التوراة — العهد القديم — سيدنا داود بالزنا مع زوجة « أوريا الحثى » واتهمته بالكيد والتحايل على التخلص من الزوج المطعون فى شرفه بقتله بطريقة معفاة من المسئولية الجنائية .

أليس هذا دليلا كافياً لإقناع الناس أن ما بأيديهم من الكتب ليست على أصلها . وإذا كانوا ينشدون الحق فما عليهم إلا أن يبحثوا عن الأصل الحقيقى لهذه الكتب ليستخرجوها فيتبعوا ما فيها .

وأما القرآن الكريم فهو الذى مدح جميع الأنبياء لا يفرق بين نبي ونبي ولا بين رسول ورسول فيقول عز وجل فى قرآنه العزيز :

---

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة الأنبياء .

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم »[1] .

من هنا وجب علينا أن نعرف قرآننا :

هذا والله أعلم

---

(١) الآيتان رقم ٣٣ ، ٣٤ من سورة آل عمران .

الباب الأول

ما هو القرآن الكريم

وفيه أربعة فصول :

١ ـ تعريف القرآن الكريم لغة وشرعا واصطلاحا .

٢ ـ أسماؤه .

٣ ـ توضيح لكلمة مصحف .

٤ ـ أقسام كلام الله تعالى .

٥ ـ اشارة لطيفة إلى كلام الله تعالى .

الفصل الأول

تعريف القرآن الكريم

اهتم الباحثون فى شئون القرآن الكريم بتعريفه لغة وشرعا واصطلاحا :

١ ــ أما التعريف اللغوى : فيعتمد على اشتقاق اللفظ من أصله فى اللغة .

٢ ــ وأما التعريف الشرعى : فيعتمد على نص من الكتاب أو السنة الصحيحة .

٣ ــ وأما التعريف الاصطلاحى : فيعتمد على إجماع علماء الكلام وأبحاثهم فى صفة الكلام لله سبحانه وتعالى .

التعريف فى اللغة :

لفظ القرآن فى اللغة مصدر مرادف للقراءة ، ويشير إليه قوله تعالى : « **إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** » . ثم نقل هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله . وإلى هذا ذهب اللحيانى[١] ومن تابعه . وعلى هذا فلفظ « قرآن » مهموز . فإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف . وإذا دخلته « أل » ــ القرآن ــ فإنما هى إشارة إلى الأصل ، إذ أن كلمة قرآن أو القرآن

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ١ - ٧

غنية عن التعريف فلا يتوهم أن « قرآن » نكرة مشاعة كرجل . بل إذا ذكر قرآن فلا ينصرف اللفظ إلى غيره إذ لا قرآن غيره .. ولعل هذا المعنى هو الذى جعل الشافعى يقول : إن لفظ القرآن علم على الكتاب الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا له وجاهته إلا أن القول بمراده يكون القرآن لفظاً جامداً مما يخالف ظاهر اللفظ كما هو واضح من الآيتين المذكورتين من سورة القيامة .

والقول الأول بالاشتقاق من القراءة هو الأقرب إلى قواعد الاشتقاق العربى فقيل: إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا وقيل: إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ، ومنه قرى الماء فى الحوض إذا جمعه . والقرآن الكريم قد جمع الأحكام والأخبار والعظات بل جمع المقاصد المرادة لله فى وحيه السابق إلى الأنبياء صلى الله عليهم جميعاً ووحيه الخاتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين .

التعريف الشرعى :

هو الكلام المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم باللغة العربية المعجزة المؤيدة له ، المتحدى به العرب ، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر .

فالكلام المنزل باللغة العربية شرط يخرج به الكتب السماوية السابقة لأنها بلغة غير عربية . ويؤيد هـــذا قوله تعالى :

« وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين »[1] .

---

(١) الآيات رقم ١٩٢ إلى ١٩٥ من سورة الشعراء .

المعجزة المؤيدة له صلى الله عليه وسلم : شرط يخرج الحديث القدسي والنبوى ، وأقوال الصحابة ، وكلام الملائكة والجن ، وكذلك كلام الحكماء والعلماء والفلاسفة والشعراء ، وأتباع الرسل وتلامذتهم . ويخرج به كلام مدعي النبوة ، ومن يقومون بأعمال خارقة كالسحرة ومن شابههم . وذلك لأن الكلام فى كل هذه الأصناف غير معجز . . أما كونه مؤيداً للرسول صلى الله عليه وسلم فإن القرآن والرسول قد لقيا من التعنت والعناد ما فاق الوصف ، وستمتد العصور وفى كل جيل يظهر من يريد النيل منهما ، وستمتد الأزمان حتى تقوم الساعة ، والقرآن باق يحمي نفسه ويتحدى من يتحداه . ويدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا قوله تعالى : « **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** »[1]. وقال جل شأنه : « **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا** »[2] هذا وقد مرت الآيات الدالة على التحدى والتأييد فلا داعى لتكرارها .

المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر : يخرج به ما عدا القرآن من أنواع الكلام ، كما أن عبادة الصلاة لا تصح إلا به . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[3]

---

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٨٢ من سورة النساء .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة (باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة) الأحاديث ٣٢ إلى ٣٧ ص ٢٤ وما بعدها ، طبعة الشعب بالقاهرة .

هذا وقد أجمع أصحاب المذاهب على أنه لا يصح قراءة غير القرآن فى الصلاة . سواء الفاتحة أو غيرها من القرآن الكريم فالمالكية لايصح عندهم إلا القراءةبالفاتحة=

أو قدرها من القرآن ما تيسر منه . ولا يصح أن يقرأ غير القرآن فى الصلاة ،

التعريف الاصطلاحى :

إن القرآن الكريم من كلام الله تعالى . والكلام صفة لله عز وجل صرح بها القرآن الكريم فى قوله جل شأنه : « وكلم الله موسى تكليما »[1] . وقال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات »[2] فالكلام لله صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت ، هو بها آمر ناه ومخبر وغير ذلك . إلا أن كلام الله يختلف عن كلامنا . . إذ ليس بصوت ولا حروف ولا نبرات ولا بأى كيفية نعلمها ، كما أن كلامه سبحانه لا يتصور فيه ما يتصور فى مخاطبات الخلائق بعضها مع بعض .

وعلماء الكلام يقسمون كلام الله إلى ذاتى وغير ذاتى ، فالذاتى هو الكلام القائم بذاته ، وغير الذاتى هو نطق جبريل به إلى الأنبياء ، ونطق الأنبياء إلى الأمم . وكذلك المكتوب على الورق . . وإنه لمن لطف الله ورحمته أنه سبحانه قد أنزل الوحى بكلامه بواسطة الحروف

= متمسكين بهذا الحديث حتى أنهم قالوا إذا عجز عن الفاتحة وجب عليه تعلمها فإن عجز وجب عليه الاقتداء بمن يحسنها فإن لم يجد ندب أن يفصل بين تكبيره وركوعه ويندب له أن يكون الفصل بذكر الله تعالى . أما الشافعية والحنابلة والأحناف فقالوا إذا لم يحسن الفاتحة فيجوز له أن يقرأ بدلها ما يساويها من آيات القرآن أو بتكرار ما حفظه حتى يساويها فإن عجز بأن لم يحفظ شيئاً ولم يمكنه الحفظ وجب عليه الذكر أو السكوت بقدر الفاتحة .

(١) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

التي تنطقها كل أمة بلسانها ، فأما الذى بالعربية فقرآن ، وأما الذى بغيرها فتوراة أو إنجيل ، أو زبور ، أو صحف إبراهيم . ولا ينقص كلام الله شيئاً كوننا ننطقه بألسنتنا ، أو نكتبه بأيدينا ، بل هو كل اللطف والرحمة من الله اللطيف ، الرحيم الخبير . « **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** »[1] بل إن ألسنتنا وأيدينا ومدادنا وورقنا لتشرف وتسمو بنطق وكتابة كلام الله فيجب لها التقديس والاحترام..إلا أن هذا التقديس لا يبلغ مبلغ صفة كلام الله من حيث القدم والقيام بالذات العلية . ألا ترى أن هذا القرآن المكتوب لو محى من الورق فهل يبقى اسم المصحف له ..؟ أم نقول : إنه ورق أبيض فيجوز عليه ما كان ممنوعا منه ، ولكنه القرآن فى ذاته فله التقديس وبه التعبد وفيه القدم والأزلية سواء فى الصدور أو فى السطور .

---

(١) الآية ٤٠ من سورة القمر .

الفصل الثانى

أسماء القرآن الكريم

إذا كنا بصدد التعريف بالقرآن فإن من تمام الفائدة ، التعريف بأسمائه وهذه بعضها :

الكتاب : قال تعالى : « **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** »[1] فى تسميته بالكتاب إشارة لجمعه فى السطور ، ففيه جمع للسور والآيات . كما أن تسميته بالقرآن إشارة لجمعه وحفظه فى الصدور لأنه مصدر للقراءة . وفى القراءة استذكار . وكما أن فى التسميتين تنبيهاً إلى مقامه ، وما قدر له من الحفظ من عبث العابثين ، ودحض افتراء الكاذبين المكذبين ، الأمر الذى جعل القرآن خالصاً من الزيغ والتحريف ، فنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم محفوظاً فى الصدور والسطور ، فتوافقت كتابته مع تواتر إسناده ؛ فاجتمع إسناده المتواتر مع نقله كتابة بتواتر أيضا .

الفرقان : قال جل شأنه : « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** »[2] فكلمة الفرقان تفيد معنى التفرقة وفيه إشارة إلى تفريقه بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، والهدى والضلال .. وبالجملة فرق بين كل متضادين .

الذكر : قال تعالى : « **وهذا ذكر مبارك أنزلناه** »[3] ومعناه الوعظ والشرف .. قال تعالى : « **لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم** »[4] أى فيه موعظة لكم وفيه شرفكم .

---

(١) الآية أول سورة البقرة .

(٢) أول سورة الفرقان .

(٣) الآية رقم ٥٠ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية رقم ١٠ من سورة الأنبياء .

التنزيل : قال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين »[1] .

الكلام : قال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله »[2].

الحديث : قال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى »[3] .

الموعظة : قال تعالى : « يأيهـا الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم[4] .

النور : قال تعالى : « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً »[5] .

العلى : قال تعالى : « وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم »[6] .

الصراط : قال تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه »[7] .

الروح : قال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا »[8] .

الوحى : قال تعالى : « إنما أنذركم بالوحى »[9] .

ومن الصفات : المجيد : قال تعالى : « ق . والقرآن المجيد »[10] .

العزيز : قال تعالى : « وإنه لكتاب عزيز »[11] .

هذا ومن أراد المزيد من الأسماء والصفات فعليه بكتاب « الإتقان فى علوم القرآن » للسيوطى .

---

(١) الآية رقم ١٩٢ من سورة الشعراء .

(٢) الآية رقم ٦ من سورة التوبة .

(٣) الآية رقم ٢٣ من سورة الزمر .

(٤) الآية رقم ٥٧ من سورة يونس .

(٥) الآية رقم ١٧٤ من سورة النساء .

(٦) الآية رقم ٤ من سورة الزخرف .

(٧) الآية رقم ١٥٣ من سورة الأنعام .

(٨) الآية رقم ٥٢ من سورة الشورى .

(٩) الآية رقم ٤٥ من سورة الأنبياء .

(١٠) الآية رقم ١ من سورة ق .

(١١) الآية رقم ٤١ من سورة فصلت .

الفصل الثالث

توضيح لكلمة مُصْحَفْ

الكلام عن أسماء القرآن وصفاته يجرنا إلى توضيح التسمية بالمصحف .

فهذه الكلمة تطلق على القرآن المكتوب فى الورق بين دفتين (غلاف) أما كلمة القرآن فتطلق عليه كلا أو بعضاً حتىَ ولو كان هذا البعض آية أو بعض آية فتقول : كلمة قرآن ، وآية قرآن ، وسورة قرآن ، وجزء قرآن ولا تقول : كلمة أو آية . . مصحف .

وإذا قرئ القرآن شفوياً عن ظهر قلب أو من المصحف ، وسئل القارئ عما يقــرأ فإنه يقول : قــرآنا . وكذلك الشأن فى التعلم أو الاستماع فإننا نتعلم أو نسمع القرآن ولا نقول : المصحف . وفى حديث البخارى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

ومن هنا نعرف أن المصحف لا يطلق إلا على الكلام المكتوب المجموع بين دفتين الذى أوله فاتحة الكتاب وآخره « **قل أعوذ برب الناس** » . . إلى قوله تعالى . . « **من الجنة والناس** » .

والأصل المشهور فى ضبط الكلمة : « ضم الميم وسكون الصاد وفتح الحاء المهملة » ومن العرب وعلماء النحو من يكسر الميم فيقول : « مصحف » .

ولكن من أين جاءت هذه التسمية التى لم ترد فى آيات القرآن مثل الأسماء والصفات التى سبق بيانها . ؟

هناك روايتان إحداهما عن المظفرى فى تاريخه، وثانيهما عن ابن أشته فى كتاب المصاحف لابن أبى داود السجستانى .. فرواية المظفرى نقلها الإمام الزركشى فى كتاب « البرهان فى علوم القرآن » فقال : « حكى المظفرى فى تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه ..فقال بعضهم : إنجيلا .. فكرهوه ، وقال بعضهم: السفر.. فكرهوه من يهود ..فقال عبد الله بن مسعود : رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف .. فسموه به .. وهذه الرواية ذكرها الزركشى تحت عنوان (فائدة)[1] .

وذكرها الإمام السيوطى فى كتاب « الإتقان فى علوم القرآن »[2] ومعهما رواية ابن أشته التى فى كتاب المصاحف من طريق موسى ابن عقبة عن ابن شهاب قال : « لما جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر : التمسوا له اسما . فقال بعضهم : السفر ، وقال بعضهم : المصحف . فان الحبيشة يسمونه المصحف . وكان أبوبكر أول من جمع القرآن وسماه المصحف » . قال السيوطى : « ثم أورده — أى ابن أشته — من طريق آخر عن ابن بريدة » :

أما علماؤنا المعاصرون فنهم الدكتور « صبحى الصالح[3] » فقال : « ويبدو أن تسمية القرآن بالمصحف نشأت على عهد أبى بكر » ثم استشهد برواية ابن أشته نقلا عن السيوطى فى الإتقان .

---

(١) العنونة بـ (فائدة) فيها إشارة إلى أنها ليست من صلب الموضوع وإلا نوقشت سنداً ومتنا . وإنما ذكرها العلماء فى كتبهم كحلية لموضوعهم ، أو كعلومة يقدمونها لقرائهم .

(٢) جـ ١ ص ٥١ أيضا تحت عنوان (فائدة) .

(٣) فى كتابه مباحث فى علوم القرآن ص ٧٧ .

ومنهم الأستاذ لبيب السعيد[1] فقد ذكر روايتى المظفرى وابن أشته حيث يقول بعدهما : « على أن هـذا اللفظ ، وإن يكن — حسب هذه الرواية — معرباً عن الحبشية ، كان — منذ ما قبل الرواية — مما استعمل العرب . . يقول امرؤ القيس فى إحدى قصائده :

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور فى مصاحف رهبان

ثم تناولها بالتعليق فى ذيل الصفحة[2] فقال : « الكلمة الحبشية Mashaf وهى فى رأى بعض الباحثين دخلت العربية مع اصطلاحات دينية أخرى مثل (الحواريين . المنافق . المشكاة) وما إليها . ومما يستدل به على حبشية هذا اللفظ أنه ليس فى العربية فعل ثلاثى من مادة « صحف » يمكن أن تشتق منه كلمة « المصحف » بينما فى الحبشة يستعملون الفعل « صحف » بمعنى « كتب » . ولى تعليق على هذا :

أولا : إن اللغة العربية ليست فقيرة ، بل هى غنية وخاصة فيما يتصل بالكتابة والقراءة . وإذا كان الفعل « صحف » بمعنى « كتب » فى الحبشية . فان « كتب » بالعربية تنص على الكتابة .

وإن الفعل « صحف »[3] يشتق منه الصحيفة التى يكتب فيها ، وجمعها صحائف وصحف وفى التنزيل قوله تعالى :[4] « إن هذا لفى

---

(١) فى كتابه الجمع الصوتى الأول ـ أو المصحف المرتل ص ٨٣ .

(٢) الصفحة رقم ٨٤ من نفس المصدر .

(٣) أنظر لسان العرب لابن منظور جـ ١١ ص ٨٧ ، ٨٨ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة .

(٤) سورة الأعلى (سبح اسم ربك الأعلى) .

الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى » وقوله تعالى : « في صحف مكرمة »[1] وقوله تعالى : « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة »[2] .

وهنا يقول ابن منظور فى لسان العرب : « والمصحف والمصحف * الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف – ثم قال : قال الأزهرى وإنما سمى المصحف مصحفاً لأنه أصحف أى جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين – ثم قال – : عن الفراء وقوله مصحف من أصحف أى جمعت فيه الصحف » ثم ضرب ابن منظور الأمثلة فقال : وقالوا : فى المغزل مغزلا ... والأصل مغزل من أغزل » وأستطيع القول بأن مصحف اسم مفعول أى وقع عليه الإصحاف وهو جمع الصحف فيه . وهذا ما حدث من أبى بكر الصديق رضى الله عنه حيث إنه جمع الصحف التى كانت مكتوبة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى اللخاف[3] والعسب والأكتاف والرقاع فى مصحف واحد .

إذن الكلمة عربية أصيلة بدليل أنها استعملت فى الجاهلية قبل الإسلام فى قصيدة لامرئ القيس مما أورده الأستاذ لبيب السعيد فيما مضى ، ومصحف التى يزعمونها حبشية لم يقم الدليل القطعي على كونها حبشية وكونها عندهم كان سبباً فى التباس الأمر على من يزعم هذا .

---

(١) سورة عبس آية : ١٣ .

(٢) سورة البينة آية : ٢ .

* بضم الميم وكسرها .

(٣) اللخاف مفردها لخفة وهى حجارة رقيقة جداً . والعسب مفرده عسيبة وهو سعف النخل ، والأكتاف مفرده كتف عظم عريض فى أصل كتف الحيوان الإنسان .

ولم لا تكون هذه الكلمة فى الحبشية منقولة عن العربية ، والدليل على عربيتها قائم من اشتقاقها ، وورودها على لسان شعراء العرب . وسيأتى إن شاء الله ذكرها فى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فهى إذن ليست مستوردة من الحبشة ، وقد علمنا مما سبق أن الفعل صحف يشتق منه صحيفة وصحائف . ثم يزاد الفعل الثلاثى بهمزة التعدية ليكون أصحف .. فتقول مثلا أصحف أبو بكر الصحائف أى جمعها فكانت مصحفاً باعتبار الفعل الثلاثى المزيد بهمزة التعدية .

ثم ننتقل إلى الأحاديث التى وردت فيها كلمة المصحف .

ثانيا : إن تسمية القرآن بالمصحف واردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث :

(١) فى سنن ابن ماجة[١] قال : حدثنا محمد بن يحى حدثنا محمد ابن وهب بن عطية حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا مرزوق بن أبى الهذيل حدثنى الزهرى حدثنى أبو عبد الله الأغر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

والإمام السندى[٢] فى حاشيته على سنن ابن ماجة قال : « فهذا الحديث كالتفصيل لحديث : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله

---

(١) جـ ١ ص ٥٤ باب ثواب معلم الناس الخير وابن ماجة هو : محمد بن يزيد أبى عبد الله بن ماجة القزوينى .

(٢) السندى هو الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الهادى الحنفى نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ١١٣٨ هـ .

إلا من ثلاث . . . » ثم قال السندى : وفى الزوائد : إسناده غريب ومرزوق مختلف فيه وقد رواه ابن خزيمة فى صحيحه عن محمد بن يحيي الذهلى به » .

وبهذا يكون الحديث صحيح المعنى إذ كل أمر منه له شاهد من أحاديث أخر . و إذا كانت رواية ابن ماجة فى إسنادها غرابة ، فهذه الغرابة تزول بموافقة متن الحديث لآخر متفق عليه وهو بالنسبة له كالتفصيل للمجمل كما قال الإمام السندى ، وبرواية ابن خزيمة التى من طريق محمد بن يحيي الذهلى .

وقال الإمام المناوى فى كتاب : فيض القدير(١) : « رواه ابن ماجة ، والبيهقى عن أبى هريرة ، ورواه أيضاً ابن خزيمة لكنه قال : أو نهراً أجراه – وقال يعنى حفره – ولم يذكر المصحف » .

(ب) حديث ثان ذكره القرطبي عند تفسيره لآية « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه »(٢) عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم » رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول(٣) إلا أنه قال : « فالدمار عليكم » والدبار والدمار لفظان مترادفان بمعنى الهلاك .

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : الحديث رقم ٢٤٩٧ جـ ٢ ص ٥٤٠ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة النـــور .

(٣) الأصل ٢٥٣ ص ٣٣٤ وقد خرجه الإمام المناوى فى كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ٣٦٦ فقال رواه ابن المبارك فى الزهد عن أبى الدرداء باسناد ضعيف .

(ج) حديث ثالث : ذكره المناوى[1] عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الغرباء فى الدنيا أربعة: قرآن فى جوف ظالم ، ومسجد فى نادى قوم لا يصلى فيه ، ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه ، ورجل صالح مع قوم سوء » .

(د) حديث رابع ذكره المناوى[2] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة » قالوا يا رسول الله وما حظها منها ؟ قال : « النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » .

(هـ) حديث خامس : ذكره الزركشى فى البرهان[3] قال : روى

---

(١) حديث الغرباء : فى الدنيا أربعة أخرجه المناوى جـ ٣ ص ٤٠٩ فقال : رواه الديلمى فى مسند الفردوس وكذا عن أبى هريرة وفيه عبد الله بن هارون الصورى قال الذهبى فى الذيل : « لا يعرف » .

(٢) حديث : أعطوا أعينكم حظها . . خرجه المناوى جـ ١ ص ٥٦١ الحديث ١١٦١ فقال رواه الحكيم الترمذى فى النوادر والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى سعيد الخدرى . ثم قال : « وظاهر صنيع المؤلف أن البيهقى خرجه وأقره والأمر بخلافه بل قالوا سنده ضعيف » أ . هـ . فيض .

والحديث ذكرة القرطبى فى مقدمة تفسيره عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى .

(٣) البرهان جـ ١ ص ٤٦٢ وفى مجمع الزوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى جـ ٧ ص ١٦٥ بدون حرف الجر إلى (بعد كلمة ذلك - قال رواه الطبرانى وفيه أبو سعيد بن عون وثقه ابن معيد فى رواية وضعفه فى أخرى وبقية رجاله ثقات .

وقد ذكر الأستاذ لبيب السعيد فى كتابه الجمع الصوتى الأول ص ٨٣ ، ٨٤ حديثا للامام مسلم : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو مخافة أن ينالوها . وهذا خطأ وصحته (كما فى صحيح مسلم بشرح النووى فى المجلد الرابع ص ٥٣٣ طبعة الشعب بالقاهرة كتاب الجهاد - باب النهى أن يسافر بالمصاحف إلى أرض الكفار) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله . بلفظ القرآن وليس المصاحف .

الطبرانى من حديث أبى سعيد بن عون المكى عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفى عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفى درجة » .

ثم قال : « وأبو سعيد قال فيه ابن معين : لا بأس به » .

وقال روى البيهقى فى شعب الإيمان من طريقين عن عثمان بن عبد الله بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فى المصحف كانت له ألفا حسنة ، ومن قرأه فى غير المصحف — فأظنه قال — كألف حسنة » وفى الطريق الأخرى قال : «درجة» وجزم بألف إذا لم يقرأ فى المصحف» أ . هـ كلام الزركشى .

بعد الذى قررته من الأقوال والأدلة أقول وبالله التوفيق :

إن تسمية القرآن المكتوب المجموع بين دفتين بالمصحف قد وردت فى أحاديث للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأما روايتا المظفرى وابن أشته فهما أثر عن عبد الله بن مسعود وهو صحابى . وأما رواية ابن ماجة لحديث : « إن مما يلحق المؤمن . . . » فصحيحة المعنى لأن كل مقطع منه له شاهد من أحاديث صحيحة كما قال السندى فى حاشيته على سنن ابن ماجة . . هــذا الحديث كالتفصيل لحديث : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . .)

وكذلك رواية الطبرانى لحديث : (قراءة الرجـــل فى غير المصحف . . .) صحيحة كما قال الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد بأن رجاله ثقات . وإذا كان فيه أبو سعيد بن عون المكى فقال فيه ابن معين « لا بأس به » كما ذكره الزركشى .

هاتان الروايتان الصحيحتان تثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى نطق باسم المصحف علماً على القرآن المجموع فى كتاب . وبصرف النظر عن بقية الروايات عن الحكيم الترمذى فى النوادر والمناوى فى فيض القدير .

فالأثر المروى عن عبد الله بن مسعود للمظفرى وابن أشته لا يقوى دليلا — وإن صح — أمام الحديثين الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم . . فإن صح هذا وذاك أخذ بالحديث وترك الأثر .

وبهذا قد تبين أن كلمة المصحف كلمة عربية باستعمالها فى شعر الجاهلية وفى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وليست منقولة عن الحبشية . . وأكرر ما قلته سابقاً: « لم لا تكون هذه الكلمة فى الحبشية منقولة عن العربية ، كما أشار بذلك فضيلة المحقق الكبير الشيخ محمد نجيب المطيعى أثناء مراجعة هذا الكتاب ؟

وبهذا كله قد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أطلق على القرآن المكتوب اسم المصحف وليس كما يدعى المظفرى وابن أشته فى رواية ابن أبى داود التى ذكرها السيوطى فى الإتقان .

الفصل الرابع

أقسام كلام الله تعالى

يقول الإمام جمال الدين القاسمي[1] : اعلم أن الكلام المضاف إلى الله تعالى أقسام ثلاثة :

أولها : وهو أعلاها « القرآن » لتميزه عن البقية باعجازه من أوجه كثيرة ..منها كونه معجزة باقية على مر الدهر ، محفوظة من التغيير والتبديل ، وتحرم تلاوته لنحو الجنب ، وعدم روايته بالمعنى ، وتعيينه فى الصلاة، وتسميته قرآناً ، والجملة منه آية وسورة . وبأن كل حرف منه بعشر حسنات .

ثانيها : كتب الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام . . وهى ما أوحى الله بها إليهم دون ما لحق بها من زيادة أو نقصان أو تغيير .

ثالثها : الأحاديث القدسية والنبوية . . وهى ما نقلت إلينا بالتواتر والآحاد عن النبي صلى الله عليه وسلم مع إسناده للحديث القدسى إلى الله عز وجل ..فهى من كلامه سبحانه وتعالى فتنسب إليه نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولا ، وتنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم نسبة إخبار لأنه المخبر بها عن الله جل شأنه » أ . هـ بتصرف .

من هذا التقسيم نستطيع أن نميز بين القرآن والحديث القدسى والنبوى .

فالقرآن لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى .. أى أن جبريل عليه السلام كان ينزل بشئ من القرآن فيظهر لرسول الله صلى الله

---

(١) فى كتابه قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث .

عليه وسلم ظهوراً بيناً . إما بخلقته وهيئته الملائكية ، التى خلقه الله عليها . وإما فى صورة بشرية ، كما ثبت أنه كان يظهر بصورة الصحابى الجليل « دحية الكلبى » ، أو بصورة رجل غير معروف للحاضرين فى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم كما روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه[1] ووضع كفيه على فخذيه قال: يامحمد أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا إله إلا الله . . الحديث » إلى أن قال عمر: ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .. قال: « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وكون القرآن بوحى جلى ولفظه ومعناه من عند الله يترتب على ذلك تحريم روايته بالمعنى .

ومن خصائص القرآن تنزله باللغة العربية فلا يقرأ بغيرها وسيأتى فى الكلام عن الترجمة الحكمة من ذلك .

ومن خصائصه : أنه تناول العقيدة والهداية وكل جوانب التشريع المنظم لحياة البشر والحاكم لها .

---

(١) أى أن جبريل عليه السلام أسند ركبتيه إلى ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم ، ليزداد منه قربا كما يقترب التلميذ من أستاذه ، وأن جبريل وضع كفيه على فخذى نفسه وهى جلسة المتعلم المتأدب فى حضرة أستاذه ..هكذا قال الإمام النووى والحديث رقم ١ من كتاب « الإيمان » المجلد الأول .

وأما الحديث القدسي : فلفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من الله . . بمعنى أن الله عز وجل أوحى المعنى المراد له سبحانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغه بعبارة نفسه إلى الناس . والوحي فى الحديث القدسي وكذلك النبوى يكون إلهاما بالنفث فى روعه صلى الله عليه وسلم أو مناماً بالرؤيا ، ورؤيا الأنبياء وحي صادق .. فالحديث القدسي والنبوى هو الوحي المروى، والقرآن هو الوحي المتلو . . ومن خصائص الأحاديث بنوعيها أن ألفاظها غير معجزة ، ولا يتعبد بها ، وتجوز روايتها بالمعنى ، ولاتحرم قراءتها من الجنب ونحوه بل تكره فقط . . ومن الأحاديث ما جاء بالتواتر أو الآحاد . أما القرآن فكل كلمة بل حرف فيه جاء متواتراً بالغاً الحد الأعلى منه ، وهو نقل أمة عن أمة حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما السنة بنوعيها فمنها ما يكون متواتراً ، وتواترها قد يكون بالحد الأدنى منه ، ومنها ما يكون بالآحاد . والحديث النبوى لفظه ومعناه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الكتب السماوية السابقة فتجتمع مع القرآن فى كونها وحياً جلياً بواسطة جبريل إلى الأنبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه، وتفترق عنه فى أمور منها : أنها ليست باللغة العربية . وأن اللاحق ينسخ السابق .

ومنها أن كل كتاب منها جاء مشتملا على بعض الفضائل وأمور من الخير ، وجانب من التشريع .

ومنها عدم إثباتها عن واحد من رسلها بإسناد تاريخي بطريق التواتر ، واختلطت آياتها بتعاليم الرسل وتلامذتهم .

« إشـــارة لطيفــة »

وهذه الإشارة من فيوضات الله على قلوب سلفنا الصالح ، أثبتها لتضفى على هذا الموضوع معنى جميلا ، وتضىء جوانبه بنورانيات من أنوار الروح الصافية . وهى عبارة عن حوار بين الشيخ أحمد بن المبارك فى « كتاب الإبريز » وبين أستاذه عبد العزيز الدباغ . أستأذن القارئ فى إثباتها لما فيها من فائدة جليلة تشير إلى الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى[1] .

يلقى الشيخ عبد العزيز درسه فيقول :

« الفرق بين هذه الثلاثة وإن كانت كلها خرجت من بين شفتيه صلى الله عليه وسلم — وكلها معها أنوار من أنواره عليه الصلاة والسلام — أن النور الذى فى القرآن قديم من ذات الحق سبحانه وتعالى لأن كلامه جل شأنه قديم .

والنور الذى فى الحديث القدسى من روحه صلى الله عليه وسلم ، وليس هو مثل نور القرآن .. فإن نور القرآن الكريم قديم ، ونور هذا ليس كذلك . والنور الذى فى الحديث النبوى من ذاته صلى الله عليه وسلم .. فهى أنوار ثلاثة اختلفت بالإضافة :

١ — نور القرآن من ذات الحق سبحانه .

٢ — ونور الحديث القدسى من روحه صلى الله عليه وسلم .

٣ — ونور الحديث النبوى من ذاته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هذه الإشارة ذكرها الإمام محمد جمال الدين القاسمى فى كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » تحقيق وتعليق محمد بهجت البيطار عضو المجمع العلمى العربى ص ٦٦ . والقاسمى : هو محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم ابن صالح بن اسماعيل بن أبى بكر المعروف بالقاسمى المتوفى سنة ١٣٣٢ .

فسأل الشيخ أحمد : « ما الفرق بين نور روحـــه ونور ذاته صلى الله عليه وسلم . . . ؟ »

ج : الذات خلقت من تراب ــ ذات النبي صلى الله عليه وسلم ــ ومن التراب خلق سائر العباد .

والروح من الملأ الأعلى وهم أعرف الخلق بالحق سبحانه .. وكل واحد يحن إلى أصله فكان نور الروح متعلقاً بالحق عز وجل .. ونور الذات (ذات النبي صلى الله عليه وسلم) متعلق بالخلق .

فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق عز وجل ، بتبيين عظمته أو إظهار رحمته أو التنبيه على سعة ملـكه وكثرة عطائه . ونرى الأحاديث النبوية تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحرام والحلال والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد .

س : الحديث القدسي من كلام الله عز وجل أم لا . . ؟

ج : ليس هو من كلام الله ، وإنما هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

س : فلم أضيف إلى الرب سبحانه وتعالى فقيل فيه حديث قدسي وقيل فيه فيما يرويه عن ربه . . ؟ وإذا كان من كلامه عليه الصلاة والسلام فأى رواية له فيه عن ربه ؟ وكيف نعمل مع هذه الضمائر التي تعود على الله سبحانه وتعالى فى قوله : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم » فإن هذا الضمير لا يليق إلا بالله عز وجل . . فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى وإن لم تكن للاعجاز ولا لتعبدنا بها ؟ .

ج : إن الأنوار من الحق سبحانه وتعالى تهب على ذات النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحصل له مشاهدة خاصة — وإن كان دائماً عليه السلام فى المشاهدة — فإن سمع مع الأنوار كلام الحق سبحانه أو نزل عليه ملك فذلك هو القرآن ، وإن لم يسمع كلاماً ولم ينزل عليه ملك فذلك وقت الحديث القدسى فيتكلم عليه الصلاة والسلام ولا يتكلم حينئذ إلا فى شأن الربوبية بتعظيمها وذكر حقوقها . ووجه إضافة هذا الكلام إلى الرب عز وجل أنه كان مع هذه المشاهدة التى اختلطت فيها الأمور حتى رجع الغيب شهوداً والباطن ظاهراً ، فأضيفت إلى الرب وقيل فيه حديث ربانى ، وقيل فيه فيما يرويه عن ربه ، ووجه الضمائر أن كلامه عليه الصلاة والسلام خرج على حكاية لسان الحال التى شاهدها من ربه عز وجل .

وأما الحديث النبوى فانه يخرج مع النور الساكن فى ذاته عليه الصلاة والسلام الذى لا يغيب عنها ابداً .. وذلك أنه عز وجل أمد ذات النبي صلى الله عليه وسلم بأنوار الحق ، كما أمد جرم الشمس بالأنوار المحسوسة . . فالنور لازم للذات المحمدية لزوم نور الشمس لها .. ثم قال : إذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم وكان الكلام بغير اختيار فهو القرآن ، وإن كان باختياره فإن سطعت حينئذ أنوار عارضة فهو الحديث القدسى ، وإن كانت الأنوار الدائمة الساكنة فى ذات النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحديث النبوى .

ولأجل أن كلامه صلى الله عليه وسلم لابد أن تكون معه أنوار الحق سبحانه كان جميع مايتكلم به وحيا يوحى .. وباختلاف أحوال الأنوار افترق الكلام إلى الأقسام الثلاثة والله أعلم .

س : فقلت هذا كلام فى غاية الحسن .: ولكن ما الدليل على أن الحديث القدسى ليس من كلام الله تعالى ؟ .

ج : كلامه تعالى لا يخفى .

س : بكشف . . . ؟

ج : بكشف وبغير كشف . وكل من له عقل وأنصت للقرآن ثم أنصت لغيره أدرك الفرق لا محالة .. والصحابة رضى الله عنهم أعقل الناس ، وما تركوا دين آبائهم إلا بما وضح من كلام الله تعالى . ولو لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما يشبه الأحاديث القدسية ما آمن من الناس أحد .. ولكن الذى ظلت له الأعناق خاضعة هو القرآن العزيز الذى هو كلام الله رب العالمين .

س : ومن أين لهم أنه كلام الله رب العالمين ، وهم كانوا على عبادة الأوثان ، ولم تسبق لهم معرفة الله عز وجل حتى يعلموا أنه كلامه ، وغاية ما أدركوه أنه كلام خارج عن طور البشر .. فلعله من عند الملائكة مثلا . . ؟

ج : كل من استمع إلى القرآن وأجرى معانيه على قلبه علم علماً ضرورياً أنه كلام الرب سبحانه ، فإن العظمة التى فيه ، والسطوة التى عليه ، ليست إلا عظمة الربوبية ، وسطوة الألوهية .. والعاقل الكيس إذا استمع لكلام سلطان الدولة الحادث ، ثم استمع لكلام رعيته . وجد لكلام السلطان نفساً به يعرف حتى أنا لو فرضناه أعمى وجاء إلى جماعة يتكلمون ، والسلطان مغمور فيهم ، وهم يتناوبون الكلام ، لميز كلام السلطان من غيره بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة .

هذا فى كلام الحوادث مع بعضهم .. فكيف بكلام الله القديم ؟!.
وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربهم عز وجل ، وعرفوا صفاته ، وما يستحق من ربوبيته ، وقام لهم سماع القرآن فى إفادة العلم القطعى به عز وجل مقام المعاينة والمشاهدة . والله تعالى أعلم أ . هـ

الباب الثانى

كتابة القرآن وأحكامها

وفيه خمسة فصول :

١ ـ كتابة القرآن وجمعه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعثمان رضى الله عنهما .

٢ ـ اختلاف رسم الكلمات فى المصحف والحكمة فيه .

٣ ـ هل رسم القرآن توقيفى أم اصطلاحى ؟

٤ ـ حكم ترجمة نص القرآن الكريم وأضرارها .

٥ ـ فى أحكام : تصغير الخط إلى درجة عدم امكان القراءة ـ كتابته بالذهب أو بالفضة ـ كتابته على الجدران ـ تأوله إلى غير ما نزل له ـ كتابته فيما هو معرض للتلف ـ حكم تجزئة آياته وكتابتها فى لوحات وبيعها .

الفصل الأول
كتابة القرآن الكريم وجمعه

كتب القرآن الكريم ثلاث مرات وكل مرة تختلف عن الأخرى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعثمان

أما الأولى : فكانت فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه وتحت هيمنته وإشرافه . . وكانت عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها . ووضعها فى مكانها الخاص بها من السور ، وكذلك ترتيب السور كما هو بين أيدينا الآن ، على القول الصحيح دون الدخول فى الخلافات . وكانت عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن فائقة ، فمنع أصحابه من كتابة شئ غير القرآن .. فروى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكتبوا عنى شيئاً غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وقد ذكر صاحب البرهان حديثاً عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذات العدد .. فكان إذا نزل الشئ دعا بعض من كان يكتب

فيقول صلى الله عليه وسلم : « ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا »[1] .

وروى البخارى[2] عن البراء لما نزلت : **لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله** » قال النبي صلى الله عليه وسلم ادع لى زيداً وليجئ باللوح والدواة والكتف – أو الكتف والدواة – ثم قال : اكتب « لا يستوى القاعدون » وخلف ظهر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أم مكتوم الأعمى . . قال يا رسول الله فما تأمرنى فإنى رجل ضرير البصر ؟! فنزلت مكانها : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر** » .

وفى رواية للامام أحمد فى مسنده[3] : قال زيد : « فألحقتها فوالله لكأنى أنظر إلى ملحقها عند صدع كان فى الكتف » .

وهذه الكتابة كانت منثورة ومتفرقة فى اللخاف ، والعسب والأكتاف والرقاع . . أى أنه لم يكن مجموعاً بين دفتين كالمصاحف التى بين أيدينا اليوم .

ومن المعلوم الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قوى الحفظ ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم .. فكان اعتمادهم الأول على الحفظ فى الصدور .

أما هذه الكتابة فكانت لزيادة التوثيق للقرآن الكريم .

---

(١) البرهان عن الترمذى قال هذا حديث حسن . وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) البخارى : كتاب التفسير باب فضائل القرآن باب كاتب النبى صلى الله عليه وسلم : ٦ – ٢٢٧

(٣) رواية الإمام أحمد ذكرها ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية ٩٥ من سورة النساء . ٢ – ٣٤٠

وأما الثانية : فكانت فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وذلك حينما أشار عليه عمر بن الخطاب بجمع القرآن لما رأى نقص الحفظة بموتهم فى معركة اليمامة . . فقد روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال : « أرسل إلى أبو بكر فى مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير . . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك . ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . . قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . فتتبع القرآن فاجمعه . . قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هو والله خير . . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر . . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى . لم أجدها مع أحد غيره « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم** » حتى خاتمة براءة فى سورتها فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر »[1] .

وقال الإمام السيوطى فى الإتقان : أخرج ابن أشته فى المصاحف

---

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير باب جمع القرآن : ٦ - ٢٢٥ ، ٢٢٦

عن الليث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد ابن ثابت . وكان الناس يأتون زيداً فكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عدل ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبى خزيمة بن ثابت الأنصارى فقال : اكتبوها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة[1] رجلين فكتب .

وهذا لا يتعارض مع كتابة القرآن بالتواتر .. فلا يقال إن آخر سورة التوبة نقل بالخبر الواحد — وهو أبو خزيمة الأنصارى — وقد قال الدكتور صبحى الصالح : « إذ أن غرض زيد أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبى خزيمة .. وقد كان ذلك كافياً لقبوله إياها ، لأن كثيرا من الصحابة كانوا يحفظونها ، ولأن زيدا نفسه كان يحفظها ولكنه أراد — ورعاً منه واحتياطاً — أن يشفع الحفظ بالكتابة »[2] .

وفى صحيح البخارى[3] قال ابن شهاب : وأخبرنى خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا

---

(١) وسبب ذلك هو أن النبى صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا من سداد بن الحارث فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبى المشى وأبطأ البائع . فجعل رجال يعترضونه يساومونه فى الفرس حتى زادوه ثمنه وهم لا يعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه منه . فأنكر الاعرابى بيعه للنبى صلى الله عليه وسلم . فشهد له خزيمة الأنصارى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بم تشهد ولم تكن حاضرا ؟ » قال بتصديقك وأنك لا تقول إلا حقا فقال عليه الصلاة والسلام : « من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه » . وفى رواية : « فجعل شهادته بشهادة رجلين » رواه النسائى فى أواخر كتاب البيوع وقال الإمام السندى فى حاشيته على سنن النسائى : « والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس بعد ذلك على الأعرابى فمات من ليلته عنده » . ذكر هذه الرواية الشيخ محمد طاهر الكردى فى كتابه « تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه » ص ٥٩ .

(٢) فى كتابه « مباحث فى علوم القرآن » ص ٧٥ .

(٣) كتاب تفسير القرآن ، ٦ـ١٤٦

المصاحف كنت أسمع رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)**[1] فألحقناها فى سورتها .. وخزيمة الأنصارى شهادته بشهادتين » .

قال الزركشى فى البرهان :

وقول زيد « لم أجدها إلا مع خزيمة » ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد لأن زيداً كان قد سمعها وعلم موضعها فى سورة الأحزاب بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك غيره من الصحابة ثم نسيها .. فلما سمع ذكره وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم[2] .

وفى الإتقان[3] : أخرج ابن أبى داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد « اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه » .

وفى آيتى التوبة والأحزاب شهادتهما الحفظ والكتابة حفظ زيد لهما ، وكتابة خزيمة إياهما .

وهذه المرة كانت عبارة عن نقل القرآن من صدور حفظته ، ومن المكتوب على العسب والرقاع ، إلى صحائف ضمت إلى بعضها ثم ربطت بخيط خشية أن يفلت منها شئ ثم حفظت عند أبى بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٢) البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٣٤ طبعة عيسى الحلبى .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٥٨ ثم قال رجاله ثقات مع انقطاعه . طبعة مصطفى الحلبى .

وهذه الكتابة اقتصر فيها على ثابت التلاوة ، وأبعد منها ما نسخت تلاوته .: وكان الغرض من ذلك كله هو تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة خشية ذهاب شيء منه بموت حملته أو ضياع ما كان مكتوبا فيه ، ثم انها كتبت بالقراءات التى نزل بها القرآن والتى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف »[1].

وأما الثالثة : فكانت على يد عثمان رضى الله عنه وهو الخليفة الثالث .: وهى عبارة عن نقل ما فى صحائف أبى بكر إلى مصحف واحد سمى بالمصحف الإمام ونسخت منه المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الكوفة والبصرة والشام وترك واحداً عنده على المشهور من الروايات .

وكان الغرض من ذلك هو إطفاء الفتنة التى اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا فى قراءة القرآن .. فكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة .. فدب الخلاف بينهم فى حروف الأداء ووجوه القراءات .. وسبب ذلك هو اختلاط الأعاجم ذوى الألسنة الغريبة عن العربية .

لهذا رأى عثمان أن يتدارك الخطب فوضع علاجاً لهذا الداء ، فجمع الناس على القراءة المشهورة .. والإمام البخارى[2] رضى الله عنه يعطينا صورة لما حدث من اختلاف الألسنة مما كان دافعا قويا لعثمان أن يفعل ذلك .

فعن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان من أهل العراق فأفزع حذيفة

---

(١) كتاب فضائل القرآن وصحيح مسلم

(٢) كتاب فضائل القرآن .

اختلافهم فى القراءة . وقال حذيفة لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك .. فأرسلت بها إليه . فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .. فنسخوها فى المصاحف . . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم .. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل فى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » .. وإنما أمر عثمان بإحراق الصحف والمصاحف لأنها كانت خاصة بأشخاص الصحابة فكانوا يكتبون بين آياتها تفسيرات لهم..ومثال ذلك ماأورده السيوطى فى الإتقان[1] فقال : وقراءة ابن عباس : « ليس[2] عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » فزيادة : « فى مواسم الحج » قد يكون ابن عباس كتبها توضيحاً لنفسه وقراءة ابن الزبير : « ولتكن منكم أمة[3] يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم » فزيادة : ويستعينون بالله . أخرجه ابن الأنبارى وجزم بأنه تفسير . وقراءة عائشة وحفصة : « والصلاة[4] الوسطى صلاة العصر » فزيادة (صلاة العصر) واضح

---

(١) جـ ١ ص ٧٧ طبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة فى الأنواع الثانى والعشرين إلى السابع والعشرين .

(٢) الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٤) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة .

فيها غرض التفسير .. حتى قال ابن الجزرى : وربما يدخلون التفسير فى القراءات إيضاحاً وبيانا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قرآنا .. فهم آمنون من الالتباس..وربما كان بعضهم يكتبه معه » أ . هـ .

ومعنى هــذا أن بعض الصحابة حينما يكتبون القرآن بإملاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهم كانوا يكتبون هذه التفسيرات مع القرآن كمصحف عائشة .

فهنا خشى عثمان أن تتلقى البلاد الإسلامية — وفيهم الأعاجم كثيرون — مصاحفه وعندهم شئ من مصاحف الصحابة فيلتبس عليهم أسلوب القرآن فلا يستطيعون تمييزه مما زاده الصحابة فأمر بإحراق ما عدا مصاحفه التى تم عليها الإجماع من الصحابة جميعهم والأمة من ورائهم .

وقد يسأل سائل : إذا كانت هذه الزيادات فى مصاحف الصحابة وقد أخذ زيد ومن معه القرآن منهم فى الجمعين فكيف تم له إبعادها ؟ . وأن هناك احتمال تسرب بعضها إلى ما فى أيدينا اليوم ؟ .

والجواب على هذا أنه قد مر بك أن زيداً وعمر كانا يجلسان على باب المسجد فيأخذان الآيات بعد شهادة شاهدين عدلين على أن هذا ما أقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم إياه وكتبه من إملائه صلى الله عليه وسلم ، وأن زيداً لم يكتب إلا ما تواتر قراءته وكتابته بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم . . والدليل على ذلك أن زيداً[1] لم يقبل آية

---

(١) الرواية فى الاتقان جـ ١ ص ٥٨ « وأن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده » أخرجها ابن أشته فى المصاحف عن الليث بن سعد .

الزجم من عمر بن الخطاب لأنه كان وحده . . ثم انه كان من الصحابة القراء الذين يحفظون القرآن بتمامه . . وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

وأخيرا نختم الجواب بما يؤيده مما أورده الزركشي (١) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : « كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرأون القراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه . . وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات . . ولذلك اعتمده الصديق في جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصحف » . أ . هـ .

وهكذا تم نسخ المصحف الإمام في عهد عثمان من صحف أبي بكر التي كانت تحت هيمنته حتى توفى ، ثم تحت هيمنة عمر حتى قبض ، ثم في صيانة أم المؤمنين حفصة بنت عمر وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلبها عثمان منها فرجعت الصحف إلى زيد مرة أخرى — وكتب بخط يده — لينسخها في المصاحف .

وهكذا أيضا وفق الله عثمان بن عفان في هذا العمل الذي قام به فأرضى به ربه ، ورضيت به الأمة وأعيانها ، وحافظ على القرآن الكريم فجمع به كلمة الأمة وأغلق باب الفتنة . . وما برح المسلمون يقطفون من ثمار غرسه إلى هذا اليوم وإلى أن يشاء الله رب العالمين .

والله تعالى أعلم .

• • •

---

(١) البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ٢٣٧ طبعة عيسى الحلبي .

الفصل الثانى
إختلاف رسم الكلمات
فى المصحف والحكمة فيه

الزركشي . . قال : « ولما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان رضى الله عنه اختلفوا فى كتابة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » . وقال النفر القرشيون : « التابوت » وترافعوا إلى عثمان فقال اكتبوا : (التابوت) فإنما أنزل القرآن على لسان قريش » أ . هـ .[1]

وإن المتأمل فى خط المصحف ورسم كلماته لبرى كلمات تكتب بزيادة حرف فى مواضع ، وفى نفس الكلمات فى مواضع أخرى تكتب بدون هذه الزيادة ، أو يجد كلمات مماثلة فى الوزن والتشكيل والنطق ، وتختلف كتابة فى مواضع دون مواضع . وهذه الأحوال حصرها العلماء فى عدة مواضع هى الحذف — الزيادة — التفخيم — مد التاء وقبضها — الفصل — الوصل . . وإذا أراد المتأمل أن يعمل فكره فى استنتاج الحكمة من هذا الاختلاف فإنه ليقف متعجباً تارة ومعظماً تارة أخرى . . وفى النهاية لا يجد بداً من الإذعان للإعجاز الظاهر فى أسرار هذا الرسم الذى لا يخضع لمحاولات التفسير إلا فى القليل النادر .

ولكن الإمام الزركشي أحالنا إلى تفسيرات بعض النحويين قليلا ، وإلى تفسيرات أهل المعانى والأسرار كثيراً ، فضمن هذا الباب بكلام أبى العباس المراكشى[2] الشهير بابن البناء فقال : « وبين — أبو العباس — أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها فى الخط

---

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٣٧٦ والنفر القرشيون هم سعيدبن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أما زيد بن ثابت فهو أنصارى . ويفهم من هذا أن عثمان جمع الناس على رسم قريش فى كتابتها

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى المراكشى المعروف بابن البناء توفى سنة ٧٢١ ذكر كتابه « صاحب كشف الظنون » البرهان ص ٣٨٠ وكتاب أبي العباس : هو « عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل » .

بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها ، ومنها التنبيه على العوالم : الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود والمقامات ، والخط إنما يرتسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي » أ . هـ الزركشي .

وهذه هي الأمثلة :

الحذف — حذف الألف • :

كلمة « أيها » تكتب هكذا فى الرسم الإملائى الحديث بألف بعد الهاء ، وجرت كتابتها فى المصاحف على ذلك أيضاً إلا فى ثلاثة مواضع من القرآن كله فى قوله تعالى : ١ — « وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون »[1] ٢ — وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك »[2] ٣ — « سنفرغ لكم أيه الثقلان »[3] فيقول أبو العباس فى توضيحها « والسر فى سقوطها فى هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها فى الفهم رتبة يمتد النداء بها ، وتنبيه على الاقتصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ما ينبغى ، وقوله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً » يدل على أنهم كل المؤمنين على العموم ، والاستغراق فيهم .

وآية : « يا أيه الساحر . . . » نظيره من كلام فرعون فى موسى عليه السلام : « إن هذا لساحر عليم »[4] وقوله : « إنه لكبيركم الذى علمكم السحر[5] » يدل على عظمة علمه عندهم وأنه ليس فوقه أحد » .

• البرهان جـ ١ ص ٣٩٦ .

(١) الآية ٣١ من سورة النور .

(٢) الآية ٤٩ من سورة الزخرف .

(٣) الآية ٣١ من سورة الرحمن .

(٤) الآية ٣٤ من سورة الشعراء .

(٥) الآية ٤٩ من سورة الشعراء .

وآية « **سنفرغ لكم أيه الثقلان** » فإقامة الوصف مقام الموصوف يدل على عظم الصفة الملكية ، فانها تقتضى جميع الصفات الملكوتية والجبروتية ، فليس بعدها رتبة أظهر فى الفهم على ما ينبغى لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله فى بيان النعم ليشكروا وبيان النقم ليحذروا . أ . ه .

والأمثلة فى هذه المسائل كثيرة جداً اقتصرت منها على الأمثلة الثلاثة . ومما يلاحظ أن هذه الكلمات الثلاثة متشابهة لفظاً إلا أنها اختلفت فى كتابتها عن مثيلاتها .

حذف الواو * :

وحسب قاعدة الكتابة : أن الفعل المضارع المعتل الآخر يثبت آخره ما لم يدخل عليه ناصب أو جازم فيحذف مثل يدعو ، يمحو . وهذه الأفعال فى القرآن جارية على القاعدة المذكورة فيما عدا أربعة مواضع وهى ١ ـ « **سندع الزبانية** »[١] ٢ ـ « **ويمح الله الباطل** »[٢] ٣ ـ « **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير** »[٣] ٤ ـ « **يوم يدع الداع** »[٤] . فأنت ترى أن الواو ـ وهى حرف علة فى آخر الأفعال ـ محذوفة ولم يسبقها أداة نصب أو جزم . وهذا على غير القاعدة فى النحو ، ومما قاله أبو العباس فى الحكمة فى الأول : « **سندع الزبانية** » فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ، وهو وعيد

---

* البرهان جـ ١ ص ٣٩٨ .

(١) الآية ١٨ من سورة العلق .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الشورى .

(٣) الآية ١١ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٦ من سورة القمر .

عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : « **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** »[1]. والثانى : « **ويمح الله الباطل** » حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله تعالى : « **إن الباطل كان زهوقاً** »[2] . فان قيل لم رسم الواو فى « **يمحو الله ما يشاء ويثبت** » وحذفت فى « **ويمح الله الباطل** »[3] والجواب كما قال أبو العباس : لأن الإثبات الأصل ، وإنما حذف فى الثانية لأن قبله مجزوم وإن لم يـكن معطوفاً عليه لأنه قد عطف عليه « **ويحق** » وليس مقيداً بشرط . ولـكن قد يجئ بصورة العطف على المجزوم وهذا أقرب من عطف الجوار فى النحو والله أعلم » .

والثالث : « **ويدع الإنسان بالشر** » حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل فى الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير » .

والرابع : « **يوم يدع الداع** » حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

حذف اليـــاء : *

أمامنا عبارة « فلا تسألن » مكونة من « لا » الناهيـــة التى تجزم الفعل المضارع . وهو « تسأل » اتصلت به ياء المتكلم بعد نون تسمى (فى النحو) نون الوقاية وياء المتكلم لا تتأثر بعامل الجزم ولا بعامل

---

(١) الآية ٥٠ من سورة القمر .

(٢) الآية ٨١ من سورة الإسراء .

(٣) يشير إلى الآية ٢٤ من سورة الشورى « فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته » .

* البرهـان جـ ١ ص ٣٦٩ .

النصب فإذن هي حسب قاعدة الكتابة أن تثبت فى اللفظ والكتابة . ومع ذلك تجد هذه الكلمة وردت فى آيتين الأولى من سورة هود حيث يقول الله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام « **فلا تسألن ما ليس لك به علم** »[1] فياء المتكلم وهو هنا الله سبحانه قد حذفت كتابة . والآية الثانية من سورة الكهف على لسان سيدنا الخضر عليه السلام مع موسى صلى الله عليه وسلم فيقول : « فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً »[2] فأنت ترى أن الفعل المضارع فى كلتا الآيتين دخلت عليه لا الناهية ولكن حذفت الياء من الأول دون الثانى وفى هذا يقول أبو العباس فى الأول :

وعلم هذا المسئول غيب ملكوتى بدليل قوله تعالى : « **ما ليس لك به علم** » فهو بخلاف قوله « **فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً** » لأن هذا سؤال عن حوادث الملك فى مقام الشاهد كخرق السفينة « **قال أخرقتها لتغرق أهلها** »[3] وقتل الغلام « **أقتلت نفساً زكية بغير نفس** »[4] وإقامة الجدار : « **فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه** »[5] .

حذف النون :

ونأخذ هذا المثال فى قوله تعالى: « **ألم يك نطفة من منى يمنى** »[6] حذفت النون التى بعد « كاف » يك – كما يقول أبو العباس :

---

(١) الآية ٤٦ من سورة هود .
(٢) الآية ٧٠ من سورة الكهف .
(٣) الآية ٧١ من سورة الكهف .
(٤) الآية ٧٤ من سورة الكهف .
(٥) الآية ٧٧ من سورة الكهف .
(٦) الآية ٣٧ من سورة القيامة .

تنبيها على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ، ثم يترقى في أطوار التكوين **« فإذا هو خصيم مبين »**[1] فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون ، كذلك كل مرتبة ينتهى إليها كونه هي ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها . فالوجود الدنيوى كله ناقص الكون عن كون الآخرة كما قال الله تعالى : **« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان »**[2] ونأخذ هذا المثال من قوله تعالى : **« ألم تكن آياتى تتلى عليكم »**[3] .

فإننا نجد المثال الأول حذفت منه النون ، والمثال الثانى ثبتت نونه بالرغم من دخول حرف الجزم « لم » عليهما . . وفى هذا يقول أبو العباس : فان كون تلاوة الآيات قد أكمل كونه وتم .

حروف الزيادة : : زيادة الألف *

تزاد الألف بعد واو الجماعة المتصلة بالفعل الماضي مثل قالوا وقاموا وناموا . . وعلى هذه القاعدة كتبت آيات القرآن إلا فى مواضع جاء الفعل الماضى فيها للجماعة ومع ذلك سقطت الألف خلافا للقاعدة المذكورة وذلك مثل قوله تعالى : **« والذين سعو فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم »**[4] فاننا نجد الفعل الماضى (سعوا) اتصلت به واو الجماعة ومع ذلك سقطت الألف . . وقد قال أبو العباس فى ذلك : « فانه سعى فى الباطل لا يصح له ثبوت فى الوجود » . وكذلك قوله تعالى **« قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين**

---

(١) الآية ٧٧ من سورة يس .
(٢) الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .
(٣) الآية ١٠٥ من سورة المؤمنون .
* البرهان جـ ١ ص ٤٠٨
(٤) الآية ٥ من سورة سبأ .

الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم »[1] وقوله تعالى : **« فقد جاءو ظلما وزورا »**[2] **وقوله « وجاءو أباهم عشاء يبكون »**[3] وقوله **« وجاءو على قميصه بدم كذب »**[4] قال أبو العباس : « فان هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح » .

وكذلك « **فان فاءو** »[5] قال : « وهو فيء بالقلب والاعتقاد » وكذلك « **تبوءو الدار والإيمان** »[6] قال : « اختاروها سكناً ، لكن لا على الجهة المحسوسة لأنه سوى بينهما . وإنما اختاروها سكناً لمرضاة الله بدليل وصفهم بالإيثار مع الخصاصة فهذا دليل زهدهم فى محسوسات الدنيا » .

زيادة الواو : *

قال أبو العباس : زيدت الواو للدلالة على ظهور معنى الكلمة فى الوجود فى أعظم رتبة فى العيان مثل « **سأوريكم دار الفاسقين** »[7] ومثل « **سأوريكم آياتى** »[8] .

ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد ، وكذلك « أولى » و « أولوا » و « أولات » زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على « أصحاب » فإن فى « أولى » معنى الصحبة وزيادة التمليك

---

(١) الآية ١١٦ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ٤ من سورة الفرقان .
(٣) ، (٤) الآية ١٦ ، ١٨ من سورة يوسف .
(٥) الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .
(٦) الآية ٩ من سورة الحشر .
* البرهان جـ ١ ص ٤٠٨ .
(٧) الآية ١٤٥ من الأعراف .
(٨) سورة الأنبياء آية : ٣٧

والولاية عليه ، وكذلك زيدت فى أولئك و « أولائكم » حيث وقعا بالواو لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة فى الوجود . وليس للفرق بينه وبين « أولئك » كما قاله قوم لانتقاضه « بأولاء » .

زيادة اليـــاء : *

زيدت لاختصاص ملكوتى باطن وذلك فى تسعة مواضع نذكر بعضها للاستشهاد ولا داعى لحصرها فقوله تعالى : « **والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون** »[1] فيقول أبو العباس : « إنها كتبت (بأييد) بياءين فرقا بين « الأيد » الذى هو القوة وبين « الأيدى » جمع « يد » ولا شك أن القوة التى بنى الله بها السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدى فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر فى إدراك الملكوتى فى الوجود » .

وكذلك : « **بأييكم المفتون** »[2] كتبت بياءين تخصيصاً لهم بالصفة لحصول ذلك وتحققه فى الوجود . . فإنهم هم المفتونون دونه فانفصل حرف « أى » بياءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً لكنه باطن فهو ملكوتى ، وإنما جاء اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة فى الكلام ، والإمهال لهم ليقع التدبر والتذكر كما جاء فى قوله تعالى : « **وإنا أو إياكم لعلى هـــدى أو فى ضلال مبين** »[3] ومعلوم أنا على هدى وهم على ضلال » .

---

* البرهان جـ ١ ص ٣٨٦ .

(١) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٢) الآية ٦ من سورة نون .

(٣) الآية ٢٤ من سورة سبأ .

ما كتبت فيه الألف واواً على التفخيم : *

وذلك فى أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة . فالأربعة الأصول هى : « الصلواة والزكوة ، والحيوة والربوا ، والأربعة الأحرف فى سورة الأنعام والكهف « بالغداوة »[1] وسورة النور « كمشكوة »[2] وسورة غافر « النجواة »[3] وفى سورة النجم « ومنواة »[4]. فأما قوله تعالى : « **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ـ»[5] وقوله : « **إن صلاتى** »[6] وقوله : « **إن هى إلا حياتنا الدنيا** »[7] وقوله : « **وما أوتيتم من ربا** »[8] فالرسم بالواو فى النوع الأول ، والقصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف فان الصلاة والزكاة عمودا الإسلام والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ومفتاح التقوى .. ولهذا قال تعالى : « **اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا** » إلى قوله : « **فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله** »[9] ويشتمل على أنواع الحرام والخبائث وضروب المفاسد وهو نقيض الزكاة . . ولهذا قوبل بينهما فى قوله تعالى : « **يمحق الله الربوا ويربى الصدقات** »[10]. واجتنابه أصل فى التصرفات

---

* البرهان جـ ١ — ٣٨٧

(١) الآية ٥٢ من سورة الأنعام والآية ٢٨ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٣٥ من سورة النور .
(٣) الآية ٤١ من سورة غافر .
(٤) الآية ٢٠ من سورة النجم .
(٥) الآية ٣٥ من سورة الأنفال .
(٦) الآية ١٦٢ من سورة الأنعام .
(٧) الآية ٢٩ من سورة الأنعام .
(٨) الآية ٣٩ من سورة الروم .
* البرهان جـ ١ ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(٩) الآية ٢٧٨ ، ٢٧٩ من سورة البقرة .
(١٠) الآية ٢٧٦ من سورة البقرة .

المالية وإنما كتبت بالألف فى آية سورة الروم لأنه ليس الربا العام الكلى ، لأن الكلى منفى فى حكم الله عليه بالتحريم ، وفى نفى الكل نفى على جميع جزئياته .

وأما كتابة (النجواة) بالواو فلأنها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات . . قال الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون : « ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجواة وتدعوننى إلى النار »[1] . وأما الغدوة فقاعدة الأزمان ومبدأ تصرف الإنسان مشتقة من الغدو ، وأما (المشكوة) فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية قال تعالى : « يهدى الله لنوره من يشاء »[2] وأما (منواة) فقاعدة الضلال ، ومفتاح الشرك والاضلال .

فتح التـاءات وقبضها : *

فى علم قواعد الإملاء أن تاء التأنيث إذا لحقت الفعل الماضى كتبت مفتوحة مثل قالت وجاءت ، وإذا لحقت بالإسم أو بالصفة كتبت (هاء) مربوطة مثل نخلة ، ورحمة .. إلا أن هذه القاعدة لم تطرد فى كتابة المصاحف فخولفت فى بعض الكلمات لحكم لا يعلمها إلا الله المتكلم بها .. وهنا يقول أبو العباس فى محاولاته لتفسير ذلك : « إن هذه الأسماء لما لازمت الفعل صار لها اعتباران : أحدهما من حيث هى أسماء وصفات وهذا تقبض منه التاء ، والثانى من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثراً ظاهراً فى الوجود فهذا تمد فيه كما تمد فى « قالت ، وزاغت » وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة . وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة . . فمن ذلك « الرحمة » مدت التاء

(١) الآية ٤١ من سورة غافر .
(٢) الآية ٣٥ من سورة النور .
* البرهان جـ ١ ص ٤٠٩ ، ٤١٠

فيها فى سبعة مواضع نذكر منها بعضها . . قال تعالى : « **إن رحمت الله قريب من المحسنين** »[1] فوضعها على التذكير فهو الفعل . وقوله تعالى : « **فانظر إلى آثار رحمت الله** »[2] والأثر هو الفعل ضرورة . وقوله تعالى : « **ورحمت ربك خير مما يجمعون** »[3] .

ومنه « **النعمة** » تكتب بالهاء إلا فى أحد عشر موضعا مدت فيها التاء مثل قوله تعالى :« **واذكروا نعمت الله عليكم** »[4] وآية سورة إبراهيم « **وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها** »[5] قال أبو العباس : « والحكمة فيما ذكرنا أن النعمة والرحمة الحاصلة بالفعل فى الوجود تمد بدليل قوله تعالى : « **إن الإنسان لظلوم كفــار** »[6] .. فهذه نعمة متصلة بالظلوم الكفار فى تنزيلهما ، وهذا بخلاف النعمة فى سورة النحل : « **وإن تعدوا نعمة الله**[7] **لا تحصوها** » كتبت التاء مقبوضة لأنها بمعنى الاسم بدليل قوله :« **إن الله لغفور رحيم** » فهذه نعمة وصلت من الرب فهى ملكوتية ، ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك أيضا كلمة « شجرة » كتبت بتاء مفتوحة فى قوله تعالى : « **إن شجرة الزقوم طعام الأثيم** »[8] لأنها بمعنى الفعل اللازم

(١) الأعراف آية رقم : ٥٦

(٢) الآية ٥٠ من سورة الروم .

(٣) الآيه ٣٢ من سورة الزخرف .

(٤) الآية ٢٣١ من سورة البقرة ، ١٠٣ من آل عمران ـ المائدة الآية ١١ ـ إبراهيم الآيتان ٢٨ ، ٣٤ ـ النحل ثلاث آيات ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤ ـ لقمان آية ٣١ ـ فاطر آية ٣ ـ الطور آية ٢٩ .

(٥) ، (٦) الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٧) الآية ١٨ من سورة النحل .

(٨) الآيتان ٤٣ ، ٤٤ من سورة الدخان .

وهو تزقمها بالأكل بدليل قوله تعالى : « **فى البطون** » فهذه صفة فعل كما فى الواقعة : « **لآكلون من شجر من زقوم** »(1) وهذا بخلاف قوله تعالى : « **أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم** »(2) فإن هذه وصفها بأنها « **فتنة للظالمين** »(3) و « **إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم** »(4) فهو حلية للاسم فلذلك قبضت تاؤها » .

الفصل والوصـــل : *

اعلم أن الموصول فى الوجود توصل كلماته فى الخط ، كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى فى الوجود يفصل فى الخط ، كما تفصل كلمة عن كلمة .

ومن ذلك : « إنما » بالكسر : وردت فى القرآن كله موصولة إلا موضعاً واحداً قوله تعالى : « **إن ما توعدون لآت** »(5) لأن حرف (ما) هنا وقع على مفصل فمنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر فمعنى « ما » مفصول فى الوجود والعلم .

ومنه : « أنما » بالفتح وردت فى القرآن كله موصول إلا فى موضعين : الأول قوله تعالى : « **وأن ما يدعون من دونه الباطل** »(6) والثانى : « **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل** »(7) وقع الفصل عن

---

(1) الآية ٥٣ من سورة الواقعة .

(2) ، (3) الآيتان ٦٢ ، ٦٣ من سورة الصافات .

(4) الآية ٦٤ من سورة الصافات .

(5) الآية ١٣٤ من سورة الأنعام .

(6) الآية ٣٠ من سورة لقمان .

(7) الآية ٦٢ من سورة الحج .

حرف التوكيد إذ ليس لدعوى غير الله وصل فى الوجود إنما وصلها فى العدم والنفى بدليل قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون : « إنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة »[1] فوصل « إنما » فى النفى ، وفصل فى الإثبات لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه : « يوم هم على النار يفتنون »[2] ، و « يوم هم بارزون »[3] حرفان فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ وأضيف « اليوم » .

و « يومهم الذى فيه يصعقون »[4] و « يومهم الذى يوعدون »[5] وصل الضمير لأنه مفرد ، فهو جزء الكلمة المركبة من « اليوم » المضاف والضمير المضاف إليه .

هذا والأمثلة كثيرة جداً وفى هذا القدر كفاية .

والله تعالى أعلم .

---

(١) الآية ٤٣ من سورة غافر .
(٢) الآية ١٣ من سورة الذاريات .
(٣) الآية ١٦ من سورة غافر .
(٤) الآية ٤٥ من سورة الطور .
(٥) الآية ٨٣ من سورة الزخرف .

الفصل الثالث

هل رسم القرآن توقيفي أو اصطلاحي

إن معنى توقيفى : هو أن كتابة المصحف بالرسم العثمانى قائمة على سند من الشرع لا يصح تجاوزه إلى غيره ، ولا تصح مخالفته :

ومعنى اصطلاحى : هو أن الشرع ترك هذا الموضوع مباحاً لاجتهاد الناس بما يتناسب مع كل أمة ، وكل عصر .. فلم يأمر برسم معين ، ولم يوص به .

ولكى نجيب على الاستفهام الوارد فى العنوان نرى ضرورة استعراض آراء العلماء والأئمة .. فمنهم من يقول بالتوقيف ، ومنهم من يقول بالاصطلاح .

والفريق الأول : هم أئمة الأمة وعلماؤها وهم الجمهور .

فقالوا : إن كتابة المصحف بالرسم العثمانى أمر توقيفى لا يجوز العدول عنه إلى غيره .

. **أولا** : لأن هذا الرسم كتب به كُتّاب الوحى بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم زيد بن ثابت ، وقد أقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وقد قال الله تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** »[1] . وما أكثر الآيات التى تأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم ، وأنها من طاعة الله عز وجل .

---

(١) الآية ٧ من سورة الحشر .

وهذا الرسم قد ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الكتاب الذى يبلغه عن ربه عز وجل .

ثانيا : استمرت كتابة القرآن هكذا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم حذا حذوه عثمان بن عفان فى خلافته . ومن حكمة الله وتدبيره أن جعل زيد بن ثابت هو الكاتب فى المرات الثلاث ، ثم نسخت المصاحف وبقى مصحف الإمام ، وفى عصر التابعين وتابعيهم لم يتغير الرسم العثمانى . . اللهم إلا فى إعجام المصحف بالنقط وضبطه بالتشكيل ، ووضع علامات عند رؤوس الآى مما لا يدخل فى صميم الكتابة بتغيير حروف الكلمات .

هذا ولم يختلف فى ذلك أحد ، ولم يعترض معترض ، ولم ينقل أن أحداً فكر فى استبدال هذا الرسم برسم آخر .

وبقى الرسم العثمانى مقدساً لا يمس استقلاله ، ولا يستباح حماه .. ومن المعلوم بالضرورة أن اتباع الصحابة واجب خصوصاً الخلفاء الراشدين . : وذلك لحديث العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون.. فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا .. قال : «أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد ، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً . . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة »(١) .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٧٨ وقال : رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

ومن أقوال الصحابة ما رواه ابن أبي داود فى كتاب المصاحف بإسناد صحيح إلى مصعب بن سعد قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان رضى الله تعالى عنه المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر عليه أحد »[1] .

وكذلك يروى شارح العقلية عن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن عثمان أرسل إلى جند من أجناد المسلمين مصحفا ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذى أرسل إليهم »[2] .

ثالثا : إجماع الأئمة :

فقد قال الفراء — وهو من علماء العربية — : « اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب ، وقراءة القراء أحب إلى من خلافه »[3] .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله . . هل تكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : « لا .. إلا على الكتبة الأول » رواه أبو عمرو الدانى فى المقنع[4] ثم قال : « ولا مخالف له من علماء الأمة » .

وفى موضع آخر : « سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف .. أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا » قال أبو عمرو : « يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم لمعنى ، المعدومتين فى اللفظ ، نحو الواو فى « أولوا الألباب » و (أولات) و (الربوا) ونحوه »[5] .

---

(١) الجمع الصوتى للقرآن ص ٦٧ للاستاذ لبيب السعيد .

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٣٧١ .

(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) أقوال الفراء وأشهب عن مالك وأبى عمر الدانى فى المقنع ص١٠ مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ ١-٣٧١ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى (ياء أو واو أو ألف) أو غير ذلك »[1] .

وقال البيهقى فى شعب الإيمان : « من كتب مصحفاً فينبغى أن يحافظ على أحرف الهجاء التى كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم أكثر علماً ، وأصدق قلبا ولساناً ، وأعظم أمانة . . فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » .

وفى فقه الشافعية : «كلمة الربوا تكتب بالواو والألف كما جاء فى الرسم العثمانى ، ولا تكتب بالياء هكذا (الربى) ولا بالألف هكذا (الربا) لأن رسمه سنة متبعة »[2] .

وفى فقه الحنفية : « أنه لا ينبغى أن يكتب المصحف بغير الرسم العثمانى »[3] .

وقال النيسابورى : « وقال جماعة من الأئمة : إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه »[4] .

وأذكر هنا ملاحظة قد تكون هامة : إن المتأمل فى أدلة الفريق الأول لا يجد فيها نصاً من القرآن ولا من السنة .. فكيف كان هذا الرسم توقيفياً ؟ ولعل هذا ما جعل الفريق الثانى يقولون بالاصطلاح .

وأقول : إنه توقيفى لأنه من السنة العملية بإقرار الرسول صلى الله

---

(١) الإمام أحمد والبيهقى ذكره الزركشى فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » جـ ١ ص ٣٧٩ طبعة عيسى الحلبى بالقاهرة .

(٢ ، ٣ ، ٤) المصدر السابق .

عليه وسلم فالسنة إما قول أو فعل أو تقرير . . والرسم العثمانى قد فاز بالتقرير .

الرأى الثانى : أن رسم المصحف اصطلاحى ولذلك تجوز مخالفته إلى غيره . ومن أنصار هذا الرأى القاضى أبو بكر الباقلانى فى « الانتصار » فقال ما ملخصه : « وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص ، ولا فى نصوص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا فى إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية ، بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل .. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه ، ولم يبين لهم وجها معيناً ، ولا نهى أحداً عن كتابته .. ولذلك اختلفت خطوط المصاحف . . فمنهم من كان يكتب الكلمة على مُخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح ، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال . . ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول ، وأن يجعل اللام على صورة الكاف ، وأن تعوج الألفات ، وأن يكتب على غير هذه الوجوه ، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة » .

أما ابن خلدون فيقول فى مقدمته[1] ما نصه :

« فكان الخط العربى لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام

---

(١) مقدمة ابن خلدون الباب الخامس الفصل الثلاثون ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ وهو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى طبعة دار الشعب بالقاهرة . . وقد ألف ابن خلدون هذه المقدمة سنة ٧٧٩ هـ .

والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع .. وانظر ما وقع لأجل ذلك فى رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة فى الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم قال : كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركاً ، ويتبع رسمه خطأ أو صواباً .. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ، فاتبع ذلك وأثبت رسما ونبه العلماء بالرسم على مواضعه .. ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم — أى الصحابة — كانوا محكمين لصناعة الخط . . ثم قال : ويقولون فى مثل زيادة الياء فى « بأييد » أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض ، وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط » . أ . هـ

فأنت ترى أن ابن خلدون يعزو اصطلاحية رسم المصحف إلى عدم إجادة الصحابة للرسم بالكتابة . . ولذلك — فى زعمه — فإن هذه الأحرف الزائدة مثل الألف والواو والياء إنما جاءت نتيجة لعدم معرفتهم لقواعد الكتابة ، وأن التابعين ومن بعدهم اتبعوا رسم الصحابة للتبرك فقط !!!

رأى ثالث : وهو معزو إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام فيقول : « لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال .. ولكن لا ينبغى إجراء هذا على

اطلاقه لئلا يؤدى إلى دروس العلم ، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة[1] » .

ومن هذا السياق نفهم أن الشيخ عز الدين يريد الجمع بين الرأيين السابقين وذلك بالمحافظة على الأثر العثمانى فى الرسم ، وباتباع الرسم الإملائى الحديث لتيسيره على الناس الذين لا يجيدون القراءة فى المصاحف العثمانية .

وقد تابعه فى ذلك الإمام الزركشى فقال[2] : « وكان هـذا فى الصدر الأول ، والعلم حى غض ، وأما الآن فيخشى الإلباس » ثم استشهد بكلام الشيخ عز الدين .

ثم تابعهما ابن قيم الجوزية[3] فقال : « وأما كتابته على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس ، وتحاماه[4] أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك وقد سئل : « هل يكتب المصحف على ما أحدث من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى » ثم ساق كلام الزركشى وابن عبد السلام :

وهنا يقول الشيخ الزرقانى : « أقول وهذا الرأى يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين .. ناحية كتابته فى كل عصر بالرسم المعروف فيه ، إبعاداً للناس عن اللبس والخلط فى القرآن ، وناحية إبقاء رسمه الأول ، يقرأه العارفون ، ومن لا يخشى عليهم الالتباس :

---

(١) البرهان جـ ١ ص ٣٧٩ .
(٢) مناهل العرفان جـ ١ ص ٣٧٨ .
(٣) مناهل العرفان جـ ١ ص ٣٧٨ .
(٤) تحاماه أهل المغرب أى تجنبوه .

ولا شك أن الاحتياط مطلب دينى جليل ، خصوصا فى جانب حماية التنزيل » .

ولـكن الأرجح والآكد فى هذه الآراء هو الرأى القائل بالثبات على الرسم العثمانى ، وبأنه توقيفى لا يجوز العدول عنه إلى غيره . وتحرم مخالفته لمـــا يأتى :

أولا : لتوافر الأدلة الثابتة بإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب وبإجماع الصحابة رضوان الله عليهم السابق ذكره ، وأن عثمان أمر زيداً والنفر القرشيين أن يكتبوه بلسان قريش كما سبق ولقولهم : القلم أحد اللسانين .

وأما قول ابن خلدون السابق الذى يفهم منه أن الصحابة كتبوا المصاحف وهم غير مجيدين لفن الكتابة ، فهذا قول ليس فيه شيء من الصحة بل هو قول حاقد على العرب ، وصمهم بالتوحش والبداوة فى حين أن للعرب فى القديم صفات حميدة وطباعاً رقيقة عبروا عنها فى أشعارهم ونثرهم . . وما يقوله ابن خلدون من أن أثر بداوتهم وتخلفهم عن فن الكتابة انعكس على كتابتهم للمصحف واستدلاله بالحروف المزيدة فى بعض الكلمات دون بعضها ؛ وحكمه عليها بأنها نتيجة عدم إجادة صنعة الكتابة ، فان كلامه هذا يمكن مناقشته والرد عليه :

وهو أن الصحابة الذين كتبوا « بأييد » بياءين هم الذين كتبوا « الأيدى » بياء واحدة .. والذين كتبوا « لاأذبحنه » بألف زائدة بعد الهمزة وقبل الذال هم الذين كتبوا « ولآمرنهم »[1] بدون زيادة

---

(١) الآية ١١٩ من سورة النساء قوله تعالى مخبرا عن الشيطان : « ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » .

الألف ، والذين كتبوا « **وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها** » التى فى سورة إبراهيم[1] بتاء مفتوحة هم الذين كتبوا « **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » التى فى سورة النحل[2] بتاء مربوطة . . فإن كان الصحابة غير متمكنين فى الرسم لكتبوا كل الكلمات المتساوية أو المتشابهة بطريقة واحدة فى الصواب والخطأ .

فمثلا إذا كنت أنا غير عالم بكتابة حروف هجاء الكلمات وكتبت كلمة « اللؤلؤ » كتبتها « اللألأ » بهمزتين على الألف ، لكانت كتابتى لها فى كل موضع على هذا الخطأ .

ولكن لما كان هذا التميز من الصحابة بين مثل هذه من موضع لآخر فإن ذلك يرجع إلى حكم ألهمها الله لهم ، وأسرار أجراها الله على أيديهم فى رسم المصاحف ، وأن هذا من إعجاز القرآن فى رسمه كإعجازه فى لفظه .. ولكن ابن خلدون لم يفهم أو لم يرق له ما حاوله بعض العلماء من أمثال أبى العباس المراكشى من استكناه هذه الأسرار أو الكشف عنها حيث قال فيما مضى فى « **لأاذبحنه** » زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد فى الوجود من المقدم عليه لفظاً ، فالذبح أشد من العذاب » أ . هـ .

وذلك لأن سيدنا سليمان صلى الله عليه وسلم قد توعد الهدهد — لما افتقده — بالعذاب بالضرب مثلا أو بالذبح . . فقال الله مخبراً بذلك : « **لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين** »[3]

---

(١) الآية ٣٤ من سورة ابراهيم .
(٢) الآية ١٨ من سورة النحل .
(٣) الآية ٢١ من سورة النمـل .

وكذلك « بأييد » فى قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأييد »[1] زيدت الياء الثانية إشارة إلى أن القوة التى بنى الله بها السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدى التى هى جمع يد » .

وكأن ابن خلدون لم يعرف قاعدة النحو المشهورة القائلة « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » .

ثم إننا نرى ابن خلدون فى موضع آخر من مقدمته يربط بين علم القراءات وبين رسم المصحف فهو إذن يرد على نفسه فينقض ما قاله آنفاً . . ومما قال : « وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضاً ، وهى أوضاع حروف القرآن فى المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء فى « بأييد » وزيادة الألف فى « لأاذبحنه » . . . وحذفت الألف فى مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التاءات ممدودا والأصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك ، فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج إلى حصرها فكتب الناس فيها أيضاً عند كتبهم فى العلوم » أ . هـ .

وبمناقشة هذا الرأى فى تعليله بما قال أبو بكر البلاقلانى وبما قاله ابن خلدون يتبين ضعفه فلا يعتد به وتقل أهميته .

ثانيا : نأتى إلى مناقشة الرأى الثالث فنقول :

إذا تمت كتابة المصاحف بالرسم الإملائى الحديث للعامة ،

---

(١) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٢) مقدمة ابن خلدون الباب السادس الفصل الحادى عشر « علوم القرآن من التفسير والقراءات » ص ٤٠٣ طبعة دار الشعب بالقاهرة .

وتمت كتابته بالرسم العثمانى القديم للخاصة حفاظاً على التراث ـ كما يقول عز الدين بن عبد السلام ـ أو الاحتياط للقرآن ـ كما يقول الشيخ عبد العظيم الزرقانى ـ إذا تم هذا وذاك والعوام كثيرون ، والخواص قليلون فسوف يتطلب ذلك نسخ الأعداد الكثيرة لكثرة العوام ، ونسخ القليل لقلة الخواص . ومع كر الزمن وتعاقب الأجيال تندثر النسخ المكتوبة بالرسم العثمانى ، بل وتهمل ـ كما اندثر مصحف الإمام المجرد من النقط والتشكيل ـ وبهذا يختفى الأثر الإسلامى فى كتابة المصاحف التى بين أيدينا اليوم ، وبالتالى يعتمد الناس فى قراءتهم على المصاحف المرسومة بالرسم المستحدث فينقطع حبل التلقى بين الطلاب والحفاظ مع أن أهم ما فى القرآن هو التلقى لتدوم سلسلة الإسناد متصلة .

ثالثا : إذا كان السبب الدافع إلى كتابة المصاحف بالرسم المستحدث هو هذه الأحرف الساقطة كتابة وثابتة نطقاً أو بالعكس ، فإن الكتابة بالإملاء الحديث لا تخلو من ذلك فى كتاباتنا العادية فى غير القرآن الكريم .. فإننا ننطق كلمات مثل (هذا ـ ذلك ـ لكن ـ هؤلاء ـ أولئك) وفى كل منها ألف محذوفة كتابة ، ومنطوقة قراءة بعد (هاء) هذا و (ذال) ذلك و (لام) لكن .. الخ .. وأما العكس فاننا لا ننطق حروفاً مكتوبة مثل (الواو) بعد (ألف) أولئك و (الألف) بعد (واو) الجماعة مثل قالوا ، وأعطوا و (اللام) فى مثل الشمس والنهار .

وليس هذا الحال قاصراً على اللغة العربية وحدها ولا على رسم المصحف وحده .. بل عم ذلك جميع اللغات التى يتكلم بها البشر .

وإليك أشهر اللغات انتشاراً وهى الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

فى اللغة الإنجليزية : كلمات عدد حروف هجائها كتابة يزيد عنها نطقا ، أو ينقلب الحرف المكتوب عند النطق إلى حرف آخر لا يجانسه ولا يتحد معه فى المخرج .

مثال ذلك : فى اللغة الإنجليزية :

الكلمة بالعربية	الكلمة بالانجليزية	النطق باللغة العربية
سرور	Pleasures	(بليجر) قلب حرف S الأول إلى G وحذف الحرفان الأخيران فلم ينطقا
مقبرة	Tomp	(توم) لم ينطق الحرف الأخير P
يعرف	Knew	(نيو) لم ينطق الحرف الأول K

مثال فى اللغة الفرنسية :

الكلمة بالعربية	الكلمة بالفرنسية	النطق باللغة العربية
يعمل	Traveille	(ترافاى) حذفت الحروف الأخيرة (LLE)
ريف	compegne	(كمبنى) حذف الحرف G وقلب الحرف o إلى a
كثير	Beaucomp	(بيكو) لم ينطق الحرفان الأخيران mp

مثال : فى اللغة الألمـانية :

الكلمة بالعربية	الكلمة بالألمـانية	النطق باللغة العربية
عامل	arbiter	(أبيتر) لم يظهر فى النطق الحرف (r) الأول
إلى اللقاء	auf wiederseun	(أوف فيدرزى) قلب حرف (w) عند النطق وحذف من النطق حرف (n) الأخير

وبعـد . .

فلعلى أكون قد وفيت موضوع كتابة القرآن الكريم بعض حقه من البحث والتمحيص بما يجلى وجه الحقيقة . . وهو أن رسم القرآن توقيفى لا تجوز مخالفته، وأن الدعوة إلى كتابة المصحف بالهجاء الحديث تؤدى إلى ضياع الرسم العثمانى ، وبذلك تضيع – لاقدر الله – ميزة القرآن عن غيره من الكتب السماوية السابقة .. وإذا كانت اللغة العربية الفصحى تجمع حولها مائة مليون عربى ، فإن رسم المصحف العثمانى يجمع حوله ألف مليون مسلم قابلة للزيادة .

ونزيد على ذلك أن قواعد الهجاء غير ثابتة من عصر إلى عصر .. فلو كتب بها المصحف ثم تعاقبت الأجيال ، وتغيرت قواعد الكتابة ، ودار فى فلكها رسم المصحف لصعبت قراءة المكتوب بها ، واعترت القديمة منها أثراً .. وهكذا . . فيرفع الأمان عن ألفاظ القرآن ، ويجعل الناس يختلفون فيها بالزيادة والنقصان ويتنازعون بشأنها بين التضعيف والرجحان .

إذن فالأفضل والأولى اتباع الرسم العثمانى حتى يبقى للقرآن جلاله ، وللفظه صونه واحترامه .

والله تعالى أعلم

* * *

ملاحظة هامة : إذا كان رسم المصحف فى عهد عثمان هو نفس الرسم الذى كتب به فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فلماذا أطلق عليه الرسم العثمانى . وكان الأولى أن يقال الرسم النبوى ، أو الرسم البكرى ؟ .

والجواب : لقد كان هذا الرسم هو الذى كتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بعده فى عهد أبى بكر . . ولكن لم ينسب إلى أحدهما ، لأن المصحف فى عهديهما لم يكن منتشراً وذائعاً بين صفوف المسلمين فى جميع مواطن الإسلام ، وكان قاصراً على الحفاظ من الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن القرآن فى العهد النبوى كان محفوظاً فى الصدور ، منقوشاً فى الرقاع واللخاف . . وبذلك لم يكن مصحفاً ذا دفتين بالمعنى المفهوم والشكل المشهور . وفى العهد البكرى كان مجموعاً فى صحائف وسوره موزعة فيها ، وبهذا لم يكن مصحفاً ذا دفتين أيضاً .

أما فى عهد عثمان رضى الله عنه فنسخ ما فى صحف أبى بكر فى مصاحف وزعت على الأقطار، وكل بلد نسخت عنه ووزعته على طوائفها وعلمائها وقرائها، فكان أحرى أن ينسب ذلك إلى عثمان ، وأولى بإضافة الرسم إليه لأنه عمل شامل اشتركت فيه الأمة ، وعثمان هو الذى قادها إلى جمع المصحف ليجمع الناس على ما قرأ به

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرس كل جهده ، وجند الهيئة العليمة بالقرآن ومكنوناته . . ولهذا نسب رسم المصحف إليه .

نضيف إلى ذلك اتساع البلاد ، وامتزاج العرب بالعجم مما كان سبباً فى اختلاف اللهجات الإقليمية ، مع اختلاف المبعوثين بالإسلام إلى هذه البلاد المفتوحة .

كل هذا دفع عثمان إلى جمع الأمة كلها على رسم معين ، بدلا من الرسوم المتباينة .. فكان حرياً بأن ينسب إليه رسم المصحف فيقال : الرسم العثمانى .

والله تعالى أعلم

الفصل الرابع
حكم ترجمة نص القرآن وأضرارها

قال الله تعالى فى سورة المائدة : « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** »[1] .

هنا أمر من الله للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ تنزيل الله إلى الناس . . ولكن هل إلى قوم مخصوصين وبأى لغة ؟ . لا . . فإن القرآن يبين المقصودين بوصول الدعوة إليهم ، ويحدد لغة التبليغ . . فقال تعالى : « **وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين** »[2] .

فهذه الآيات تفصيل لما أجمل فى الآية الأولى حيث أنه قد ورد فيها « **رب العالمين** » ليشمل العالم العربى والعجمى والجنى والملائكى وما وراء ذلك من عوالم — لا نعلمها — الله يعلمها وإنك لتستطيع أن تجعل الآيات الأربع كالحلقة أولها وآخرها فى يدك فإنك ستجدها هكذا .

« **وإنه لتنزيل رب العالمين . . . . بلسان عربى مبين** » ووسطها « **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** » أى أن رسول السماء جبريل أمين على هذا التنزيل الذى يثبت فى قلبك بل هو يشمل كل قلبك فكأن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم قد غطى بالقرآن وتدثر به . . واللسان ترجمان القلب فلا يستطيع أن يعبر بغير ما فى قلبه . . فأنذر يا محمد الأمم المختلفة فى لغاتها ولهجاتها بلسان التنزيل العربى . . فإما النطق بنص التنزيل تلاوة وإما لا . . ولذلك

---

(١) الآية رقم ٦٧

(٢) سورة الشعراء آيات رقم : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

تحرم روايته بالمعنى بألفاظ عربية مرادفة لألفاظ القرآن .

ولو اقتصرت على هذا الحد من القول فى شأن ترجمة القرآن لكفى .. ولكن من الناس من لا يقتنعون من قريب ، فهؤلاء نعرفهم بإجماع علماء الإسلام على تحريم قراءة القرآن وكتابته بغير لغته التى نزل بها .. فقد قال صاحب[1] البرهان : « لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، فى الصلاة وخارجها .. لقوله تعالى : « **إنا أنزلناه قرآنا عربياً** » ثم قال : « واستقر الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التى يتعلق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذى اختص به دون سائر الألسنة .. وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربى لمكان التحدى بنظمه فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره » أ . هـ

ثم ذكر الزركشى أقوال العلماء فى ذلك فقال :

قال القفال : « عندى أنه لا يقدر أحد أن يأتى بالقرآن بالفارسية[2]. قيل له : فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن .. قال : ليس كذلك .. لأن هناك يجوز أن يأتى ببعض مراد الله ، ويعجز عن البعض .. أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله .. أى أن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها .. وذلك غير ممكن بخلاف التفسير » .

وقال أبو الحسين بن فارس فى كتابه فقه العربية : « لا يقدر أحد من التراجمة على أن ينقل القرآن إلى شئ من الألسن » ثم قال :

---

(١) الإمام الزركشى ص ٤٦٤ وما بعدها .

(٢) أو بأى لغة أخرى غير عربية انظر البرهان جـ ١ ص ٤٦٥ .

لأن العجم لم تتسع فى الكلام اتساع العرب .. ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : « **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** »[1] لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته، حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها فتقول : « إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وأذنهم بالحرب ، لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على سواء » أ . هـ .

وفى **مذهب المالكية** : جاء فى حاشية[2] الدسوقى على شرح الدردير جـ ١ لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية ولا يجوز التكبير فى الصلاة بغيرها ، ولا بمرادفها من العربية » .

مذهب الحنابلة : قال صاحب المغنى جـ ١ : « ولا تجزئه القراءة بغير العربية ، ولا إبدال لفظ بلفظ عربى ، سواء أحسن القراءة بالعربية أم لم يحسن » .

وقال ابن حزم فى كتاب المحلى جـ ٣ : « من قرأ أم القرآن — أى الفاتحة — أو شيئاً منها أو شيئاً من القرآن فى صلاته مترجماً بغير العربية أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التى أنزل الله تعالى عامداً لذلك أو قدم كلمة أو أخرها عامداً لذلك ، بطلت صلاته وهو فاسق لأن الله تعالى قال : « قرآنا عربياً » . وغير القرآن ليس عربياً فليس قرآنا ، وإحالة عربية القرآن تحريف لكلام الله .. وقد ذم الله تعالى من فعلوا ذلك فقال : « **يحرفون الكلم عن مواضعه** » أ . هـ

---

(١) الآية رقم ٥٨ من سورة الأنفال .

(٢) مناهل العرفان للزرقانى جـ ٢ بتصرف ص ٥٨ .

بعد أن ذكرت الأدلة من القرآن ، وأقوال العلماء فى حكم الترجمة وعرفنا إجماعهم على التحريم أذكر هنا أوجه الحكمة فى المحافظة على لغة القرآن العربى :(1) .

أولا : أن الترجمة الحرفية تستلزم المحـال ، وما يستلزم المحال محال ، والمحـال هنا هو أن لابد من الوفاء بجميع المعانى الأولية والثانوية للقرآن ، وبجميع مقاصده الرئيسية التى هى الأولية والثانوية للقرآن ، وبجميع مقاصده الرئيسية التى هى الهداية والآية والتعبد .. وهذا مستحيل لأن المعانى الثانوية للقرآن مدلولة لخصائصه العليا التى هى مناط بلاغته وإعجازه ، وما كان لبشر أن يحيط بها فضلا عن أن يحاكيها فى كلام له .

ثانياً : أن هذه الترجمة تشجع غير العرب على انصرافهم عن الأصل العربى مكتفين بما يشاع عندهم من الترجمات ، فإذا امتد الزمن وتعاقبت الأجيال عليها فسوف يقال : إنها القرآن ، ولا يقال ترجمة له .. وربما طفح الكيل فقيل : قرآن إنجليزى أو فرنساوى . . مثلا . وبذلك يضيع ، وضياعه نكبة تغرى النفوس على التحريف فى دين الله ما دامت قد ضعفت هيمنته على اللسان العربى .

ثالثاً : إذا فتحت أبواب الترجمة فسيؤدى ذلك إلى التزاحم الخطير عليها بمعنى أن كل أمة تترجم القرآن إلى لغتها ، وتقوم هى الأخرى بنفس الدور من لغتها إلى لغات غير لغتها وهكذا دواليك . . وحينذاك لا يستطيع أحد تمييز الأصل من الفرع ، ولا الصواب من الخطأ فتضيع الحقيقة، وأخذت كل أمة تقول ـ ادعاء ـ : قرآننا أصح

---

(1) مناهل العرفان جـ ٢ بتصرف .

من قرآن غيرنا . . وهذا أخطر الخطر ، وينطوى على الكفر الصريح .

رابعاً : أن هذه الترجمة تذهب بالعامل المهم فى مقومات المجتمع الإسلامى الذى يعتبر الدين هو رباطه المتين فى علاقات الأوطان الإسلامية داخلياً وخارجياً . . وعماد الدين الإسلامى هو القرآن العربى .

ثم إن أمة الإسلام بمثابة العقد المنظوم بحبل الله الذى يقول : « **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** »[1] . فإذا انقطع الحبل تفرقت حبات العقد وتناثرت .

هذه هى الحكم التى وقى الله بها المسلمين مما كان يحيق بهم من التصرف فى لغة القرآن . . وقد طالعنا التاريخ بوجوه من أعين الأمة الذين برزوا فى كل فروع العلوم بالرغم من أنهم ينتمون إلى سلالات غير عربية .

فمن الفرس . الصحابى الجليل سلمان الفارسى فى إدارة الحروب وفن القتال . والإمام البخارى أمير المؤمنين فى علم الحديث وكذلك النسائى والترمذى . وابن رشد فى الفقه والفلسفة . والقرطبى فى التفسير . والزمخشرى فى البلاغة الذى نراه يتعصب للعربية فيقول : « الحمد لله على أن جعلنى من علماء العربية ، وجبلنى على الغضب للعربية ، وأبى لى أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وأنحاز ، وعصمنى من مذهبهم الذى لم يجد عليهم الا الرشق بألسنة اللاعنين ، والمشق بأسنة الطاعنين[2] .

---

(١) الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٢) قول الزمخشرى والبيرونى ذكره الشيخ محمد سليمان فى كتابه من أخلاق العلماء .

ويقول أبو الريحان البيرونى – وهو من أصل غير عربى – : « الهجو بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية » ويقول : « ديننا والدولة عربيان توأمان يرفرف على أحدهما القوة الإلهية ، وعلى الآخر اليد السماوية .. وكم احتشدت طوائف من التوابع وخاصة منهم (الجبل والديلم) فى إلباس الدولة جلابيب العجمة ، فلم ينفق لهم فى المراد سوق ، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمساً ، وتقام الصلاة بالقرآن العربى المبين خلف الأئمة صفاً صفاً ، ويخطب به لهم فى الجوامع بالإصلاح ، كانوا لليدين والفم ، وحبل الإسلام غير منفصم ، وحصنه غير منثلم » .

وبعد فلعل بهذا البيان يكون قد وضح الحق ، واستقر فى الأذهان حكم ترجمة القرآن بنصه ترجمة حرفية من لغته إلى اللغات الأجنبية .

أما الترجمة التفسيرية بمعنى أن يترجم تفسير القرآن ، فهذه ليست بنقل لنص الآيات ولكن يقوم المترجم بنقل ما يدل على معانى كلمات القرآن إلى كلمات غير عربية .

فهذه جائزة بشرط أن يعنونها المترجم بأنها ترجمة تفسير .

هذا والله أعلم .

الفصل الخامس
كيف نتعامل مع المصحف كتابة

وفيه مسائل :

١ – فيما يتعلق بالكاتب وأدوات الكتابة .

٢ – فى حكم كتابة القرآن الكريم على الجدران .

٣ – فى حكم تأول القرآن الكريم فى غير ما أنزل له .

٤ – فى حكم بيع الآيات المكتوبة فى لوحات خطية وحكم تصغير الخط إلى درجة عدم إمكان القراءة .

٥ – فى حكم كتابة القرآن فيما هو معرض للتلف .

٦ – فى حكم كتابة القرآن بالذهب أو الفضة .

المسألة الأولى :

فيما يتعلق بالكاتب وأدوات الكتابة :

يقول سبحانه وتعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين »[١] .

« فى كتاب مكنون » يعنى مصون من النجاسات والخبائث ،

---

(١) الآيات رقم ٧٥ – ٧٩ من سورة الواقعة .

والتحريف والتبديل ، (وذلك فى أقرب الأقول) ومن العلماء من تشدد فى ذلك فقال : لايجوز للمحدث مسه ولا قراءته حتما ولو كان محدثاً حدثاً أصغر .

ومن المعروف أن المصاحف تكتب على ورق وبمداد وبأقلام ، أو بآلات الطباعة .. فيجب أن تكون هذه الأدوات طاهرة ، فلا يكتب على ورق متنجس ، ولا مغصوب ولا مسروق ، ولا تشترى الأدوات بمال فيه ربا أو شبهة الربا أو بأى مال فيه شبهة الحرام بكل ألوانه ، كما أن المـاء الذى يذاب فيه المداد يجب أن يكون طاهرا .

أما الكاتب : فيشترط فيه ما يشترط فى القارئ من حيث الآداب العامة ، والطهارة من الحدث الأكبر ، ومن الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة .

أما الحدث الأصغر فيجرى فيه التفصيل . فان كان يكتبه للتعليم فلا تلزمه الطهارة منه ، وإن كان يكتبه ليتعبد بتلاوته فتلزمه الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر .

أما عمال الطباعة الذين يعملون فى طباعة المصاحف من جمع الحروف والملازم والتدبيس والتغليف فهؤلاء يتطهرون من الحدث الأكبر فقط ، والمرأة من الحيض والنفاس .

ولـكن لا تلزمهم الطهارة من الحدث الأصغر مراعاة لمكثهم زمناً طويلا فى العمل ، وإلزامهم بهذه الطهارة فيه حرج لهم ، وتضييق عليهم . ونأخذ فى ذلك عموم قوله تعالى : « وما جعـل عليكم فى

الدين من حرج »[١] وقوله تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »[٢] وإن كان الأولى الطهارة من الحدث الاصغر عند القيام بطباعة أو كتابة المصاحف .. فيكون ترك الطهارة منه من باب ترك الأولى ولكن لا إثم فيه .

وإذا كنا نمنع الكتاب وعمال الطباعة المسلمين من مباشرة عملهم في المصاحف وهم محدثون بالجنابة وما يماثلها فكيف بمن هم غير مسلمين في البلاد الأجنبية ويقومون بطبع المصاحف في مطابعهم فالمنع آكد في حقهم ، لأنهم لا يتحرزون عن الأحداث والأخباث ولا يتورعون عن امتهان المصاحف .. فعامل الطباعة المسلم يستقر في نفسه احترام المصحف فيكون شأنه في ذلك غير شأنه لو كان يطبع شيئاً غير القرآن .

أما الأجانب عن الإسلام فشأنهم مع المصحف كشأنهم مع غيره، ثم إنهم غير مأمونى الجانب من مثل التحريف وغيره .. فواجب المسلمين أن لا يمكنوا الأجانب من طبع المصاحف .

والله تعالى أعلم .

• • •

المسألة الثانية :

في حكم كتابة القرآن على الجدران[٣] :

الجدران إما جدران مساجد، وإما جدران منازل وما شابهها . فجدران المساجد اتفق الأئمة على كراهة كتابة شئ من القرآن عليها ..

---

(١) الآية ٧٨ من آخـر سورة الحج .
(٢) الآية ٢٨٦ من آخـر سورة البقرة .
(٣) الفقه على المذاهب الأربعة طبعة وزارة الأوقاف .

فقال المالكية : « إن كانت الكتابة فى القبلة كرهت لأنها تشغل المصلى سواء كان المكتوب قرآنا أو غيره ، ولا تكره فيما عدا ذلك » .

وقال الشافعية : « يكره كتابة شيء من القرآن على جدران المسجد وسقوفه ، ويحرم الاستناد لما كتب فيه من القرآن بأن يجعله خلف ظهره » .

وقال الحنابلة : « تكره الكتابة على جدران المسجد وسقوفه ، وإن كان فعل ذلك من مال الوقف حرم فعله » .

وقال الحنفية : « لا ينبغى الكتابة على جدران المسجد خوفا من أن تسقط وتهان بوطء الأقدام » .

فاننا أمام أقوال الأئمة نجد المالكية يعللون الكراهة بإشغال المصلى ، والحنفية يعللونها بالخوف من سقوط الجدران ، ثم الإجماع منهم جميعاً على الكراهة بصفة عامة .. أما جدران المنازل وماشابهها . فإن علة الكراهة قائمة بسبب عدم التحرز من تطاير النجاسات أو عبث الصبيان .. قال الإمام القرطبي فى مقدمة تفسيره[1] : « ومن حرمته – أى القرآن – ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة[2] .. ثم روى عن محمد بن الزبير قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب فى أرض .. فقال لشاب من هذيل : « ما هذا ؟ » قال من كتاب الله كتبه يهودى ، فقال : « لعن الله من فعل هذا .. لا تضعوا كتاب

---

(١) ص ٢٦ طبعة دار الشعب بالقاهرة .

(٢) المساجد المحدثة بالنسبة لزمنها وبالنسبة لنا أثرية . والرواية قال حدثنا محمد بن على الشقيق عن أبيه عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن محمد بن الزبير قال سمعت عمر بن عبد العزيز .. الخ .

الله إلا موضعه » وقال محمد بن الزبير : « رأى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن على حائط فضربه » فالرواية الثانية هى الشاهد على هذه المسألة فلو كانت كتابة القرآن على الجدران مباحة لما منع عمر بن عبد العزيز ابنه من الكتابة .

هذا والله تعالى أعلم .

* * *

المسألة الثالثة :

حكم تأول القرآن الكريم فى غير ما أنزل له .

التأول هنا على نوعين : نوع بالكتابة ، ونوع بالنطق ..

فأما الذى بالكتابة فمثل الذى نراه مكتوباً فى المتاجر والمطاعم والمشارب والفنادق (اللوكندات) وما شابه ذلك .. فإنك تجد صاحب المطعم قد كتب على باب مطعمه أو فى داخله آيات قرآنية مثل : **« كلوا واشربوا هنيئاً »** ومثل **« ولحم طير مما يشتهون »** .

ونحن نرى أن هاتين الآيتين تتحدثان عن أكل وشرب الجنة، وكذلك لحم الطير .. ومن المشهور يقيناً والمؤكد أن أكل الجنة وشربها لا يكون إلا للمؤمنين الصادقين .. والمطعم يدخله المؤمن والكافر، والبر والفاجر فكيف يأكل الكفرة والعصاة والفجرة من هذا الأكل الخاص بالمؤمنين المتقين؟ .. وهذا تأول بآيات القرآن يخرجها عما أنزلت بخصوصه .

أما لو كتب مثلا الآية التى تقول : **« كلوا واشربوا ولا تسرفوا »** أو الآية التى تقول : **« يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً**

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » لو كتب مثل هذه الآيات لكان أفضل . . إذ أنها تتضمن النهى عن الإسراف وتتضمن الأمر بالأكل من المال الحلال والطعام الحلال ، وترك خطوات الشيطان .. ولكنى أعتقد أن صاحب المطعم لا تعجبه الآية الأولى لأنها تنهى عن الإسراف . . وهو يحب أن يأكل الناس باسراف حيث يكون هو الرابح . ! !

وأما محلات المشارب كمحال عصير الفواكه فانهم يكتبون « ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا » ومنهم من يكتب « وجعلنا من المــاء كل شئ حى » .

فالآية الأولى فيها خروج عن مقصدها الذى أنزلت بشأنه .. وهو أن السقيا من الكأس الممزوج شرابه بالزنجبيل ، هو شراب أهل الجنة فلا يطعمه إلا أهلها ويحرمه من كان فاسقاً أو عاصياً وفاجراً أو كافراً . . ومحلات العصير فى دنيانا يدخلها الصالح والطالح.. فكيف بالفساق والعصاة والفجرة والكفرة يشربون .. وهذا خروج بالآية الكريمة عن مضمونها .. أما الآية « وجعلنا من الماء كل شىء حى» ففيها الموعظة الحسنة إذ تذكر الناس بقدرة الخالق القدير .

وأصحاب الفنادق يكتبون : « ادخلوها بسلام آمنين » . وهذه أيضا للجنة .

وما قيل عن المطاعم والمشارب يقال هنا وأشد منه لأن من الفنادق ما يجرى فيه المنكر والفحشاء .

هذا مع التنبيه على أن الإنسان إذاأراد أن يكتب آيات قرآنية مثل « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ألا يكتبها على جسم الحائط وإنما تكون

فى إطار أى برواز لأنه كما علم من المسألة السابقة أن كتابة القرآن على الجدران مكروهة .

وأما التأويل بالنطق : كأن تكون فى صلاة وبجوارك شيء ثم أتى أحد الناس يستأذنك فى أخذه ، وأنت لا تريد قطع الصلاة – ولا تقطعها – وتكون فى القراءة فتقول بقراءتك « **فخذها بقوة** » فيكون هذا تأويلا وهو محرم ، وتبطل إذا كان قصد قائلها التكلم .

أما إذا كانت قراءة له أصلا وصادفت حضور من يستأذن فى أخذ الشيء فلا تبطل الصلاة به .

والله تعالى أعلم .

* * *

المسألة الرابعة :

فى حكم بيع الآيات المكتوبة فى لوحات خطية وحكم تصغير الخط إلى درجة عدم إمكان القراءة بالعين المجردة .

الحكم الأول : إننا نرى مع بائعى الصحف وبائعى اللوحات وفى المكتبات إطارات بين محيطها آية أو جزء آية من القرآن لعرضها للبيع فما حكم هذا . . . ؟

إن مثل هذه الآيات ليس فى كتابتها حرج لأنها مستوفية حقها من الكتابة بالخط الحسن الجميل .. ومن آداب كتابة القرآن أن يحسن خطه ، إلا أنى أضع بشأنها تنبيهات وأقيدها بآداب بالنسبة للكاتب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى قصة موسى مخاطباً له : « وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين » ورقم الآية ١٤٥ من سورة الأعراف .

والبائع والمشترى .. فآداب الكاتب قد سبق ذكر بعضها فى المسألة الأولى ، والبعض الآخر : أن ينبه على أنها آية من القرآن وأن يكتب الآية كاملة كآيات القسم فلا بد أن يكتب الآية التى بعدها وفيها جواب القسم مثل « **والضحى والليل إذا سجى** » ولايقتصر على ذلك بل يكتب التى بعدها وهى جواب القسم « **ما ودعك ربك وما قلى** » حتى يتم الكلام من القسم وجوابه .. وكذلك آيات المساءلة .. فلابد أن يكتب جواب السؤال مثل « **يسئلونك عن الروح** » فلا يقتصر على كلمة الروح بل يكتب ما بعدها « **قل الروح من أمر ربى** » . . وهكذا . . وأن يختار الآيات التى فيها إنذار أو تبشير أوحث على الفضائل كالصبر ، والإنفاق فى سبيل الله ، والبر بالوالدين ، والجهاد ، وحب الاستشهاد فى سبيل الله ، والصلاة . . . الخ .

وآداب البائع باعتباره حاملا لها فيجب ألا يكون جنباً ، وأن لا يكذب فى تحديد ثمنها ، وإذا كان هذا حراماً فى جميع المبيعات فالحرمة أشد بالنسبة لهذه . . ومن آدابه أن لا يناولها بيده اليسرى .. ومن آداب المشترى أن يكون طاهراً ، وأن يأخذها بيده اليمنى ، وأن لا يساوم فى ثمنها ، وأن لا يفصل آية عن آية فالقرآن كله مفصل وعظيم ، وأن يقصد بشرائها التذكر والاتعاظ بما فيها ، لا بقصد تزيين الجدران بها ، وأن يجنبها الأماكن التى تتطرق إليها القاذورات والأنجاس ، وأن يبعدها عن عبث الأطفال ، وأن من فى البيت لا يقرأونها بصوت أو تحريك شفاه وهم فى حالة الجنابة ،وكذلك مسها وحملها .. أما مجرد النظر إليها أو قراءتها بالقلب فى هذه الحالة فلا حرج عليه .

الحكم الثانى : حكم تصغير الخط إلى درجة عدم إمكان القراءة بالعين المجردة ..

إن المطلوب في قراءة القرآن الكريم أن تكون بخط واضح بحيث يستطيع القارئ له القراءة بدون تكلف أو مشقة أو إجهاد نظر . . وذلك لتيسير التلاوة والحفظ . . أما لو كتب بخط صغير جدا تصعب قراءته فهذا مكروه .

قال القرطبي في مقدمة تفسيره[١] : « ومن حرمته ــ أي القرآن ــ أن يصغر المصحف . . روى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي الله عنه قال : لا يصغر المصحف .. قلت : وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل فقال : من كتبه ؟ قال : أنا .. فضربه بالدرة ، وقال « عظموا القرآن » أ . هـ .

وروى ابن أبي داود السجستاني عن ابن المسيب[٢] قال « لا يقول أحدكم مسيجد أو مصيحف .. ما كان لله تعالى فهو عظيم » أ . هـ .

وقال الإمام الزركشي : « وتكره كتابته في القطع الصغير »[٣]. وهذا الحكم بالكراهة ينطبق على القرآن الذي يكتب جميعه في صفحة واحدة بخط صغير جداً .

والله أعلم

• • •

---

(١) ص ٢٥ طبعة دار الشعب بالقاهرة . . هذا وقد قال القرطبي : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقال مسيجد أو مصيحف . والسيوطي قال عن ابن المسيب قال بدون إسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ومعنى هذا أنه من كلام ابن المسيب لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وما في القرطبي خطأ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ٢ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) البرهان جـ ٢ ص ٤٧٩ .

المسألة الخامسة :

فى حكم كتابته فيما هو معرض للتلف . .

من مظاهر احترام القرآن وتعظيمه أن لا يكتب فى الأوراق التى يغلب عليها التعرض للتلف . .

هذه قاعدة عامة . . ولكن لو أردنا تطبيقها فإننا نستطيع فى أحوال دون أحوال ، وهذه الأخيرة مثل الصحف اليومية والأسبوعية – ويقصد بها غير المتخصصة فى شئون الدين – لأن الصحف الدينية أمرها معروف ويمكن لها الحيطة بحفظها . . أما الصحف غير الدينية فإنها لا تخلو من كتابة القرآن ولو آية أو بعض آية . . وهى سريعة التعرض للتلف والبلى ، وفى ذات الوقت هى وسيلة فعالة وهامة فى توعية الجماهير بالدين ففيها تحقق المصلحة وأى مصلحة . . وهنا فلابد من الإذعان للإفادة الهائلة لمجتمع المسلمين وهذه المنفعة العظيمة العامة لو منعت الكتابة من الصحافة لحرم الناس منها حرماناً يكسر القلوب ، والحيطة للقرآن حق لله ، ووعى الناس بدينهم حق لله والناس ، وحق الله مبنى على المسامحة وحق الناس مبنى على المشاحة .

إلا أنى أنبه القائمين على شئون الطباعة أن ينبهوا فى أعلى الصحيفة أن بها آية قرآن فتقطع مساحتها وتحرق . . والتحريق لا جرم عليه ولا إثم إذ علم أن سيدنا عثمان رضى الله عنه لما نسخ المصاحف أحرق الصحف الأولى .

وأنبه قراء الصحف إذا كان الواحد منهم لا يريد الاحتفاظ بالصحيفة فعليه قبل إهمالها أن يقطع الجزء الذى كتبت فيه الآية القرآنية ويحرقها

ولا إثم عليه بهذا الإحراق لأننا نعلم تمام العلم مصير هذه الأوراق، فإنها ترمى فى كل مكان طاهر أو نجس نظيف أو قذر وأنها تباع للباعة ليلفوا بها بضاعتهم المباعة للناس .

ووالله . .

لقد وجدت مرة ورقة صحيفة وبها آيات قرآنية فى مرحاض من المراحيض العامة .. وإذا كان الفقه الإسلامى يكره الاستنجاء من البول والغائط بالورق المكتوب باللغة العربية لشرفها ومنزلتها ولأن ما كتب فيها يتضمن حروفاً هى الحروف التى تتكون منها كلمات القرآن والأحاديث النبوية وأسماء الله وهكذا . . وإذا كان ذلك مكروهاً فى جانب نصوص القرآن والسنة يكون ذلك حراماً تحريماً فاحشاً .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول فى شأن القرآن : « **لا يمسه إلا المطهرون** » فأولى بنا وأوجب أن نحول بينه وبين النجاسات والأقذار .. وقد روى لنا الإمام الزركشى فى كتابه البرهان[1] قال : « قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى فى ذكر منصور بن عمار أنه أوتى الحكمة وقيل : إن سبب ذلك أنه وجد رقعة فى الطريق مكتوباً عليها « **بسم الله الرحمن الرحيم** » فأخذها فلم يجد لها موضعاً فأكلها ، فأرى فيما يرى النائم قائلا قد قال له : قد فتح الله عليك باحترامك لتلك الرقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة » أ . هـ .

وأنا لا أقول بأكل ما يوجد من أوراق فيها قرآن ، ولكنى أقول بحرقها تأسياً بعثمان رضى الله عنه . . وثمة تنبيه أخير ، وهو :

---

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٤٤٩ .

إذا وجد مصحف قد أخذ فى التلف ، فلا يوضع فى الشقوق مثلا ولا يدفن فى الأرض ، بل يحرق فإنه أحفظ له . والله تعالى أعلم

* * *

المسألة السادسة :

فى حكم كتابة القرآن بالذهب أو الفضة :

وكتابته بالذهب والفضة يكون بصهرهما ثم يكتب بالمنصهر .. فهذا حرام .. لما فيه من إسراف .. وإذا كان القرآن هو الذى يدعو إلى الاعتدال والتوسط ، فأولى أن يعمل فيه بما يدعو إليه . . ورب قائل يقول : إن كتابته فيه معنى التعظيم له .. وأقول : تعظيم القرآن بتلاوته ، والعمل به عبادة . وهذا الحكم بالنسبة للذهب .

أما بالفضة فجائز . والجائز منها التحلية فقط وليست الكتابة ، بأن يحلى غلافه مثلا أو الصندوق الذى يوضع فيه أو علاقته .

وفى فقه الشافعية [1] : « يجوز تحلية المصحف بالفضة للرجل والمرأة .. وأما بالذهب فلا يجوز إلا للمرأة » . والجائز من الذهب هو تحلية المصحف وليست الكتابة كما هو مذهب الشافعية بالنسبة للمرأة . وفى مقدمة تفسير القرطبى [2] يقول : « ومن حرمته ــ أى القرآن ــ أن لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا .. وروى مغيرة عن إبراهيم أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة (عبدات) ص ٧٣٦ تحقيق وإعداد لجنة وزارة الأوقاف بالقاهرة .

(٢) ص ٢٥ طبعة دار الشعب بالقاهرة ..

بالذهب أو يعلم عند رءوس الآى أو يصغر ، وعن أبى الدرداء[1] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار[2] عليكم » وقال ابن عباس وقد رأى مصحفاً قد زين بفضة : « تغرون به السارق وزينته فى جوفه » أ . هـ .

وقال الإمام الزركشى فى البرهان[3] : « ويستحب تطييب المصحف وجعله على كرسى ، ويجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح .. روى البيهقى بسنده إلى الوليد بن مسلم قال : سألت مالكاً عن تفضيض المصاحف ، فأخرج إلينا مصحفاً فقال : حدثنى أبى عن جدى أنهم جمعوا القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا[4] ونحوه : وأما التحلية بالذهب فالأصح أنه يباح للمرأة دون الرجل » أ . هـ .

هذه هى الأقوال التى لم تجوز كتابة المصحف بالذهب وكذلك بالفضة ، ولكن أجازوا التحلية فقط بالفضة للرجال والنساء والتحلية بالذهب للنساء فقط.

والله تعالى أعلم .

---

(١) رواه الحكيم الترمذى أبوعبد الله فى نوادر الأصول من حديث أبى الدرداء . والحديث أورده القرطبى فى تفسيره لآية من سورة النور وهى قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع . . . الخ » ص ٤٦٥٩ طبعة دار الشعب بالقاهرة . هذا وقد مر تحقيق الحديث فى فصل « توضيح كلمة المصحف » .

(٢) الدبار : الهلاك وفى رواية : فالدمار بالميم بدل البـاء .

(٣) ص ٤٧٨ جـ ١ .

(٤) « على هذا » إشارة إلى المصحف الذى أخرجه مالك وكان مفضضاً .

الباب الثالث

آداب تعلم القرآن وتعليمه للغير

وفيه خمسة فصول :

١ ـ فضل تعلمه وتعليمه للغير .

٢ ـ حكم حصول المعلم على أجر .

٣ ـ آداب المعلم مع تلميذه ، ومع الناس .

٤ ـ آداب المتعلم مع معلمه ، ومع الناس .

٥ ـ حكم تعليم القرآن لغير المسلم .

الفصل الأول
فضل تعلم القرآن وتعليمه

قال الله تعالى : « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** »(١) وقال جل شأنه : « **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** »(٢) . وقال عز من قائل : « **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** »(٣) .

فى الآية الأولى يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزله عليه من الوحى إلى الناس . . والتبليغ لفظ يشمل الإعلان بالدعوة ، والتعليم .. ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من فوره بإعلام من معه من الصحابة ما نزل عليه ، ولا يتوانى فى ذلك ، ثم إن الله سبحانه يتوعده إن كتم شيئاً من الوحى عن الناس .

وفى الآية الثانية يلعن الله من كتم الآيات البينات – التى تعلمها وحفظها – عن الناس . . واللعن هو الطرد من رحمة الله ، ثم استثنى

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة .

(٢) الآيتان ١٥٩ ، ١٦٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٨٧ من سورة آل عمران .

الله الذين تابوا واستقاموا على الطريق فبينوا ما عندهم من القرآن والعلم للناس ، وجعلهم من أهل القبول فى رحمته بتوبته عليهم .

وفى الآية الثالثة : أن هناك عهداً وميثاقاً من الله على كل أمة نزل عليها كتاباً أن تتعلمه وتعلمه ، ولا تضن بتعليمه ، ولا تكتم منه شيئاً .

ولا شك فى أن أمة الإسلام هى خير الأمم ، وكتابها هو أفضل الكتب ، فالأمر لها آكد وأبلغ من غيرها ، فصار واجباً عليها ألا تألو جهداً ، ولا تترك سبيلا فيه تبليغ القرآن وتعليمه إلا سلكته ، وما ذاك إلا لأن القرآن تستنزل به الرحمات ، ويتقى به غضب الله ، وله الفضل فى هداية الناس ، وصلاح دنياهم وأخراهم . . يقول تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »(١) .

وقال تعالى : « وهـذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون »(٢) .

لهذا وجب علينا نحن المسلمين العمل الدائب على تعليم كتاب الله لأفراد الأمة بإنشاء مدارس لتحفيظ القرآن ، والاستعانة فى ذلك بجهود الحفاظ ، وبوسائل الاعلام المتنوعة .. وإنى أرى أن الإذاعة المرئية (التليفزيون) هى أفضلها لأنها تجمع بين السماع والرؤية والكتابة على أن يختار لذلك الوقت المناسب للكبار والصغار .

---

(١) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأنعام .

وبهذا تكون الدولة قد ساهمت فى دعم علاقة الناس بكتاب الله ، وأدت دوراً فيه نفع الأمة بدلا من حشو البرامج الإذاعية بالأغانى الخليعة ، والروايات والتمثيليات التافهة والمفسدة .

فإذا تم استخدام هذه الوسائل فى تعليم القرآن تكون الأمة قد ربت أبناءها ، وأرضت ربها .. وما ذاك إلا لما لحملة كتاب الله من فضل عظيم عند الله سبحانه . . وقد قال سبحانه : « **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور** »[1] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى فى صحيحه عن عثمان بن عفان : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[2] . وروى مسلم فى صحيحه عن سعد بن هشام عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة[3] . والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »[4] . أى أجر المشقة وأجر القراءة .

وفى صحيح مسلم عن أبى إسحاق قال سمعت البراء[5] يقول : قرأ رجل سورة الكهف وفى الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة – أو سحابة – غشيته قال فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر .

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : ٢٣٦/٦

(٣) وهم الملائكة .

(٤) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب فضل الماهر بالقرآن : ١٩٥/٢

(٥) هو البراء بن عازب .

فقال : « إقرأ فلان فإنها السكينة تنزلت عند القرآن » وفى رواية تنزلت للقرآن »[1] وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك » قال : « آ الله سمانى لك ؟ قال : « الله سماك لى » قال : — أى أنس — فجعل أبى يبكى[2] .

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك فى وجهه »[3].

وعن أنس بن مالك قال[4] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من علم ابنه القرآن نظراً[5] غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن علمه إياه ظاهراً[6] بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر ، ويقال لابنه : اقرأ فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الأب بها درجة حتى ينتهى إلى آخر ما معه من القرآن » .

هذا هو فضل تعليم القرآن عند الله ... فهلا نسعى لحفظه وتعلمه .. وهلا نستعين بالقرآن حتى نكون مع الملائكة البررة الكرام .

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب نزول السكينة لقراءة القرآن : ١٩٤،١٩٣/٢

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل : ١٩٥/٢

(٣) الحديث قال فيه الإمام الهيثمى صاحب كتاب مجمع الزوائد : « رواه الطبرانى ورجاله ثقات » جـ ٧ ص ١٦١ نشر مكتبة القدسى بالقاهرة .

(٤) الحديث قال فيه الهيثمى : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من « لم أعرفه » جـ ٧ ص ٦٦ .

(٥) نظراً أى من المصحف .

(٦) ظاهراً أى عن ظهر قلب .

وباب الله واسع لا يضيق إلا على من استنكف واستكبر . فنسأل الله تعالى السلامة .

والآثار فى فضل تعلم القرآن واستذكاره كثيرة فاخترت منها ما يسمح به المقام .

والله تعالى أعلم .

الفصل الثانى
حكم حصول المعلم على أجر

اختلف العلماء فى هذه المسألة .. فمنع فريق أخذ الأجرة ، وفريق أباحها .

فمن المانعين : الزهرى وأبو حنيفة : قال الزهرى : « لا يجوز » وقال أبو حنيفة : « يكره تعليم القرآن بأجرة » ، واستند فى ذلك على قوله تعالى : « **ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا** »[1] .

وقالوا : إن تعليم القرآن واجب يحتاج فيه إلى نية التقرب والإخلاص كالصلاة والصيام .

والإمام القرطبى رحمه الله يفند هذا عند تفسيره للآية المذكورة فيقول : « إن قياسهم على الصلاة والصيام فاسد لأنه فى مقابلة النص وهو الحديث الذى خرجه البخارى من حديث ابن عباس[2] :

---

(١) الآية ٤١ من سورة البقرة .

(٢) وحديث ابن عباس فان البخارى حدثنى سيدان بن مضارب أبو محمد الباهلى حدثنا أبو معشر البصرى هو (صدوق) يوسف بن يزيد البراء قال حدثنى عبد الله الأخنس أبو مالك عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس . . » وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى وليس فيها : « إن أحق ما أخذتم . . . » ولكن فيها : « وما يدريك أنها رقية : اضربوا لى معكم بسهم » وأصل الحديث وارد فى الرقية بالقرآن وأخذ الأجرة عليها وهو فى الصحيحين البخارى ومسلم . أنظر صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب فاتحة الكتاب : ٦/٢٣١ وصحيح مسلم كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين : ٧/١٩ ، ٢٠ .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » ثم إن الصلاة والصيام عبادات محضة مختصة بالفاعل ، وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم فتجوز الأجرة على محاولته النقل كتعليم إكتابة القرآن ، وأبو حنيفة الذى يكره تعليم القرآن بأجر نراه أخذ الأجر على تعليم الشعر والغناء المعلوم بأجر معلوم ، فكيف يجوز الإجارة فيما هو معصية ويبطلها فيما هو طاعة » أ . هـ . بتصرف .

وإنى أقول : إن الآية التى استدل بها المانعون نزلت فى بنى اسرائيل وعلمائهم حينما كان أحبار اليهود يأخذون الرشوة ليغيروا صفة النبى صلى الله عليه وسلم الثابتة فى كتبهم ويكتموها عن الناس بل ويبدلون هذه الصفات بصفات أخرى ليست له صلى الله عليه وسلم .. ولذلك نرى الآية جاءت بعد قوله تعالى : « **ولا تكونوا أول كافر به** » وسياق الآية كاملة هكذا « **وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا وإياى فاتقون** » والآية التى بعدها : « **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** » .

وأما الفريق الذى أجاز الأجر على تعليم القرآن فهم : مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور وإسحاق . واستندوا إلى حديث البخارى السابق ذكره .

وإنى أقول : إن أخـــذ الأجر على تعليم القرآن جائز ولـكن بضوابط .. **أولا :** إذا كان معلمو القرآن من الفقراء الذين يتكسبون مما لا يكفى معايشهم من أى عمل آخر — وهم كثير — فخير لهم أن يستغنوا بتعليم القرآن .. وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم

سور من القرآن صداقاً فى الزواج .. والزواج ضرورة من ضرورات الحياة، إلا أنه لا يصل إلى درجة الضرورة فى شراء المطعم والملبس والمسكن حيث انها عناصر الحياة الأساسية التى لا تقوم بدونها : والزواج إذا كان ضرورياً فضرورته لا تتوقف عليها حياة الشخص ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصوم بديلا عنه حينما قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » وعناصر الحياة الأساسية لا بديل لها يقوم مقامها . . وهذا هو حديث جعل القرآن صداقاً . فى صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : « جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول جئت أهب لك نفسى .. فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد فيها النظر وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه .. فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست . فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال : « فهل عندك من شيء ؟ » فقال : لا والله يا رسول الله .. فقال : « اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً » فذهب ثم رجع فقال : والله ما وجدت شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظر ولو خاتماً من حديد » فذهب ثم رجع فقال : ولا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزارى[1] (قال سهل راوى الحديث ما له رداء) فلها نصفه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه

---

(١) كانت ملابس العرب مكونة من قطعتين مجموعهما يسمى رداء ولذلك قال سهل راوى الحديث ما له رداء أى حلة كاملة .. وكان الرجل له إزار فقط وهى القطعة التى تغطى الجزء الأسفل من الجسم .

شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعى فلما جاء قال : « ماذا معك من القرآن » ؟ . قال معي سورة كذا وسورة كذا « عددها » فقال تقرؤهن عن ظهر قلب » ؟ قال نعم قال : « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وفى رواية قال : « انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن »(١) .

وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى أن يكون القرآن طريقنا لتوفير عناصر الحياة الأساسية .

ثانياً : إذا جاز ذلك فليس معناه أن يستغل معلم القرآن ظروف الناس وحاجتهم إليه كأن يكون وحيداً فى قرية ، أو نجع ، أو حى من مدينة ولا منافس له من المعلمين ويجد إقبال الراغبين فى تعلم القرآن شديداً فيطلب ويغالى فى طلبه ولكن المفروض أن يأخذ بعفاف ، ويقنع بالكفاف ، ولا يعرض القرآن للمساومة فيسمع ما يسمع من التشنيع والتعنيف .

ثالثاً : ومن ناحية أخرى ينبغى ألا يضن راغبو التعلم بأموالهم ولا يستكثروا ما ينفقون ، بل ينبغى أن يوجهوا نياتهم فى العطاء إلى إقراض الله قرضاً حسناً ، ويكون اعتقادهم هو قول الله عز وجل: **« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً**

(١) صحيح مسلم كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن .

ولا أذى لهم أجـــرهم عند ربهم ولا خـــوف عليهم ولا هم يحزنون »(١) .

وبهذا يكون تعليم القرآن ميداناً تجتمع فيه فضائل العفة والقناعة من المعلمين .

والإنفاق بكرم وسخاء فى سبيل الله من الراغبين فى التعليم .

هذا والله أعلم .

(١) الآيتان رقم ٢٦١ ، ٢٦٢ من سورة البقرة .

الفصل الثالث
آداب المعلم مع تلميذه ومع الناس

من المعلوم بداهة أن الفرع يتبع الأصل . وأنه لا يستقيم الظل والعود أعوج . وأن لكل مقتد مثلا يحتذيه .

والمعلم بصفة عامة، ومعلم القرآن بصفة خاصة هو القدوة لتلميذه .. فواجب على القدوة أن يسلك مسلكاً حسناً فى تعليم من يعلمهم ، فلا يريهم من نفسه ما ينفرهم . فيتحلى بصفات الحلم والرأفة والأمانة ، والصدق والإخلاص ، وأن يهتم بهم اهتمامه بأبنائه ، فإن الصبى قادر على النقد الصامت بل هو ميزانه الخفى الذى لا يستعمله عن قصد وفن: ولكن يميز به بين الطيب والخبيث بغريزة فطرية أودعها الله فى طبيعته النقية . هذا إذا كان الطالب صبياً .

أما إذا كان بالغاً فانه قادر على الازدراء ، وربما التهكم ، ويستطيع النقد بفن وقصد وغالباً ما يكون النقد أو التهكم من وراء ظهر المعلم .

وإنى أستأنس فى هذا ببعض مأثورات عن الإمام الغزالى[1] بتصرف يؤدى الغرض :

أولا : الشفقة : وهى صفة تتطلب من المعلم حيال تلاميذه أن

---

(١) كتاب إحياء علوم الدين جـ ١ كتاب العلم (بيان وظيفة المرشد المعلم) ص ٤٩ .

يجريهم مجرى أبنائه فيعاملهم برفق ولين ، فيهش عند لقائهم ، ويرحب بهم عند قدومهم ، مقتدياً فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « إنما أنا لـكم مثل الوالد لولده »(١) .

والمعلم شريك للوالد فى تربية أبنائه فهما متضامنان فى فوز الأبناء فى الدنيا بما يوصلهم إلى شاطئ النجاة.. فالأب ينفق ماله فيما يغذى الجسم والعقل ، والمعلم يبذل جهده فيما يبصر العقل ويربى النفس والوجدان .

ثانيا : الحلم : وهو أن يصبر المعلم على تلميذه فى حال التعلم .. فربما كان الطالب بطيء الفهم ، ضعيف الحفظ .. وهذه حالة لا يد له فيها ، فهى خارجة عن إرادته ، فإن استعجله فلن يحقق معه هدفا ، وربما أربكه فيكون سبباً فى اضطرابه وتلجلجه بالقراءة .. وبذلك يتعسر عليه الحفظ والفهم .. **والعلاج لهذا** : أن يستثير همته تارة بعامل التنافس بين أقرانه ، وتارة بتبصيره بمستقبله الذى يتوقف على حفظه واستيعابه ، فيلاطفه ويلاينه .. ومثله فى ذلك مثل الصائغ الذى يصنع من الذهب حلياً .. فإن استعمل العنف فى دقه فلن يفوز منه بشىء .. أما إذا تحايل بأصول صنعته فإنه سينجح فى إخراج القرط – مثلا – سليما جميلا غير مشوه ولا معيب .

ولـكى يتضح الغرض من القول سأضرب أمثلة لمعلمى القرآن .

أما الأول : فقد جمع بين الشفقة والحزم .

فمن الشفقة أنه كان يشركنا فى طعامه وشرابه ولو بشىء يسير ، وبعد الفراغ من الدرس كان يجالسنا ليسامرنا الحديث ، فيقص علينا

---

(١) الحديث خرجه الإمام العراقى وقال : رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان من حديث أبى هريرة .

من الحكايات والنوادر ما يدعو إلى الصفات الحميدة ، وكنا فى ذلك الوقت فى أعمار متقاربة بين السادسة والعاشرة تقريباً . . ومن الحزم فانه كان يعنف الواحد منا إذا أخطأ تعنيفاً خفيفاً كلدغة أو ضربة خفيفة بكف يده ، ولا يزيد على ذلك .

وأما الثانى : — عفا الله عنهم ورحمهم جميعاً فقد رحلوا إلى ربهم — فانه لم يكن شفوقاً ولا حليما ولا صبوراً .. فكان يكلفنى الجهد بحفظ القدر الكبير فى اليوم .. وإذا أسمعته ما حفظته طلب منى السرعة فى القراءة ، فاذا توقفت وقفة ولويسيرة ، فلا أدرى إلا والسوط أو العصا نازلة على ظهرى أو أضلعى .

وأما الثالث : فقد جمع بين الشفقة والحلم .. **فمن الشفقة** أنه كلما انتهى اليوم الدراسى وهممت بالانصراف ، أو إذا التقينا فى دروب القرية ربت على كتفى داعياً لى بالبركة ، وبشرنى بالمستقبل — ومن دعائه لى دعوة أذكرها جيداً كأنى أسمعها منه الآن « اللهم افتح عليك فتوح العارفين بالله » — الأمر الذى يفتح باب الأمل فى نفسى وخاطرى . . **ومن الحلم** أنه إذا أخطأت استوقفنى ولم يستعجلنى بل يتركنى لأتذكر ما نسيت ، فاذا عجزت بدأ لى بما توقفت عنده ، دون مس بضرب ولا لدغ .. ولكن كل ما يفعله أن ألمح الغضب فى وجهه باقتطاب جبينه .

لقد سردت هذه الذكرى لضرب المثل بالمعلم النافع وغيره .. وبالطبع لم أحقق حفظ القرآن عند الثانى .. بل تحقق لى عند الأول والثالث .

ثالثاً : النصح وهو وسيلة لتبصير الطالب بفائدة ما يتعلمه وعلى الأخص القرآن . . فيرشده إلى الكيفية المثلى لحفظه ، وأن يكون نصحه شاملا لمعانى الفضيلة والأخلاق الحسنة والآداب العامة الحميدة لينشأ التلميذ عليها .

رابعاً : الطهارة وحسن المظهر . . الطهارة مقصود بها الحسية والمعنوية . . فالحسية أن يكون طاهراً من النجاسات ، ومن الحدثين الأكبر والأصغر .. والمرأة إذا كانت معلمة فتكون طاهرة من الحيض والنفاس .. والطهارة المعنوية أن تكون نيته خالصة لله ، لأن من الظواهر الداعية للأسى أن بعض المعلمين ينظرون أولا وأخيراً إلى الأجر والمكافأة ، وبناء على قيمتها يحدد معاملة تلميذه .

أما إذا كانت نيته خالصة لله تعالى فإنه سيجتهد فى تتميم القرآن لتلميذه بدون مراعاة لمقدار الأجر .

وأما حسن المظهر ، فمقصود به الهندام المهذب ، والتصرفات اللائقة بمقام القرآن . . فيتنزه عن الأعمال المنقصة لقدره ، حيث أننا نرى بعض المعلمين وخاصة فى الريف لا يهتمون بمظهرهم فلا ينظفون ملابسهم وأجسامهم مما يجعلهم يحكون جلودهم بأظافرهم ، أو يأتون بأفعال تتعارض مع الذوق . . كالبصق والتمخط فى مجلس الدرس بدون منديل مثلا .

وهذا ما يدفع التلميذ إلى عدم احترامه إن لم يكن فى مواجهته .. فمن وراء ظهره حينما يختلى بأقرانه ، وربما تأثر التلميذ به فيشرع فى تقليده .

خامساً : الاستقامة .. وهى صفة تجعل من المعلم نموذجاً كريماً

فى نظر تلاميذه ، والاستقامة مقصود بها حسن الأخلاق ومنها الصدق والأمانة ، والعدل والوفاء ، والصبر والكرم ...الخ. فلا يكون متصفاً بأضدادها ، لأن هذه الأضداد لا تتواءم مع تعليم القرآن الكريم الذى يدعو بمثل قوله : « **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** »(١) ولكى يكون مقتدياً برسول القرآن صلى الله عليه وسلم الذى كان على خلق عظيم ومتأدباً بأدب ربه العليم .

سادساً : التدرج فى التعليم :

فيبتدئ بتعليمه الكتابة والقراءة ثم تحفيظ القرآن ابتداء من فاتحة الكتاب وقصار السور التى تبدأ بسورة الناس (**قل أعوذ برب الناس**) ثم يصعد به فى القرآن حتى يختم بسورة البقرة . ولنتكلم عن طريقة التحفيظ تفصيلا :

١ ـــ أن يخصص المعلم قدراً من الآيات ليكتبه المتعلم فى « اللوح » بخط يده ،وبعدها يقرأه من اللوح على أستاذه ليصحح له النطق بمخارج الحروف صحيحة ، وتسمى هذه المرة « بالتصحيح » وأما مقدار هذا فان كان من قصار السور فلتكن سورة واحدة ، وإن كان من السور الطوال فبمقدار ثلث الربع أو ربعه أو نصفه حسب استعداد كل تلميذ .

٢ ـــ ثم ينتحى التلميذ ناحية منفرداً ليحفظ ما كتبه فى « اللوح » بالتكرار والتسميع لنفسه عن ظهر قلبه ، حتى يتأكد أنه حفظ فيتقدم إلى شيخه ليسمعه .. فان كان قد حفظ فبها ونعمت وإن لم يحفظ فليعاود التكرار (وتسمى هذه المرة بتسميع اللوح) .

---

(١) الآية رقم ٣٣ من سورة فصلت .

٣ ـ بعد أن يقطع شوطاً فى حفظ عدد من السور على هذا النهج ، يسمع منه الشيخ كل يوم قدراً من (الماضى) بترتيب . (وتسمى هذه المرة بتسميع الماضى) وهكذا حتى يتم حفظ القرآن كله على خير ما يرام ، ثم بعد ذلك يبتدئ معه المعلم فى طريقة التجويد أو الترتيل حسب قواعد الأحكام فيشرح له قواعدها من حيث المد والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإشمام ، والقطع ، والوصل ، والفصل ، والسكتات اللطيفة ، والقلقلة ، وتعطيش الجيم ، وإخراج اللسان فى حروف (الثاء والذال والظاء) والتأكيد والتخفيف ... الخ .

والقرآن الكريم يرشدنا إلى هذا فيقول : « **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** »[١] . ويقول جل شأنه : « **ورتل القرآن ترتيلا** »[٢] ثم إن جبريل عليه السلام نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فعرض عليه القرآن عرضتين ، وذلك فى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سابعاً : أن ينهى المعلم المتعلم عن سوء الأخلاق ، والتأدب فى معاملة الناس كبيرهم وصغيرهم ، ويزجره عن اكتساب السيئات ، ويفحش له ارتكاب الأعمال الناقصة والقبيحة .. وليكن ذلك بطريق التلميح لا التصريح . لأن التصريح فى ذلك يرفع حجاب الهيبة ، وينزل سيف التبجح ، وإذا صدر التبجح للمعلم انعدم الاحترام ، وأضحت الجرأة كاشفة لستار الهيبة ، وإذا كان الأمر كذلك انعدمت الفائدة .

ثامناً : أن يكون قصد المعلم من تعليمه القرآن : هو أداء الرسالة

---

(١) الآية رقم ١٠٦ من سورة الإسراء .

(٢) الآية رقم ٤ من سورة المزمل .

وتنفيذ الميثاق الذى عليه لله .. إذ قال الله عز وجل : « **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** »[1] ومعنى هذا أنلا يكون أكبر همه الحصول على الأجر .. وهنا يقول الإمام الغزالى رحمه الله : « وكيف يطلب منه أجراً وهو – أى المتعلم – سبب له فى الحصول على الثواب والأجر الإلهى » .

أما آداب وصفات المعلم مع عامة الناس :

فينبغى أن يكون ملتزماً بحدود الأدب الذى فى القرآن .. وهى آداب المعاشرة والمجالس ودخول البيوت ومعاملة الأهل والجيران بأن يكون ودوداً محباً عطوفاً عفيفاً . . لا يسطو على الموائد ، ولا يتشمم رائحة المواقد ، ولا يتسمع إلى ما ليس له فيه حق ، منزهاً فلا يتكلم إلا الصدق ، ولا ينطق إلا الحق ، ولا يخشى فيه لومة لائم .. إذا مشى لازمته الهيبة ، وإذا توقف وقف معه الاحترام ، لا يسمع اللهو ، ولا يخوض فى اللغو ، ويربأ بنفسه عن الشبهات ، وينأى عن مواطن السيئات ، يصل من قطعه ، ويعفوعن من ظلمه ، واصلا رحمه، جواداً كريماً، متأنياً حليما ، عادلا حكيما ، ويكون لأمر دينه مطيعاً ، ولفروضه مؤدياً ، وإذا غضب فلله ، وإذا رضى فلله ، وإذا كره فلله ، وإذا أحب فلله ، ومع كل هذا يكون للقرآن مرتلا ، وللناس إماماً ومعلماً.. وبذلك يكون من الذين وردت صفاتهم فى القرآن إما جملة أو تفصيلا ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الرعد :

« **إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا**

---

(١) الآية رقم ١٨٧ من سورة آل عمران .

الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (١) .

وفى آخر سورة الفرقان قال الله تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » (٢) .

---

(١) الآيات رقم ١٩ إلى ٢٤ من سورة الرعد .

(٢) الآيات رقم ٦٣ إلى آخر السورة .

الفصل الرابع

آدابُ المتعلم في مجلس الدّرس

بعد أن قدمت ما ينبغي أن يكون عليه المعلم أبين هنا ما ينبغي أن يكون عليه المتعلم من الآداب والصفات الحسنة والحميدة . . وفى هذا الصدد نرى الإمام الغزالى رحمه الله يصدرها بـ :

الصفة الأولى : ونذكرها بتصرف :

تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق ، ومذموم الأوصاف والعادات . . ومعنى هذا أن تعلم القرآن عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله تعالى .. وكما لا تصح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان ، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة – عبادة القلب – إلا بطهارته من النفاق والمكر والخبث ، والحقد والحسد ، والعداوة والبغضاء . . وهى نجاسات قلبية ونفسية وباطنية . . والقرآن الكريم كالزرع لا ينبت إلا فى التربة الخصبة الصالحة . . أما الأرض السبخة أو المريضة فلا ينبت فيها زرع ، وإن نبت بعض الشيء لا ينمو ، وإن نما لا يثمر ، وإن أثمر لا يأتى بجيد الثمر .. فالقرآن لا ينبت ولا ينمو ولا يثمر إلا فى القلب الطيب الصالح الطاهر .. وعلى هذا يكون طالب القرآن نظيفاً طاهراً من هذه الصفات السيئة ، متحلياً بالصفات الحسنة السمحة الكريمة . . مثل الصدق . والأمانة ، والإخلاص . . وبالجملة كل متطلبات الإيمان .

الصفة الثانية :

أن لا تكون الدنيا ومطالبها أكبر همه، وكل شغله . . فيتخفف من علائقها . . وذلك لأنه جند نفسه وعقله لطلب علم القرآن .. وما دام كذلك وجب أن يكرس جهده ، ويجمع همته على التحقيق والإجادة حتى يحصل له حفظه ، بل ويتعدى مرحلة الحفظ إلى العمل به ، كما علمنا ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « كنا نحفظ العشر آيات فلا ننتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن » وروى عنه أنه حفظ سورة البقرة فى تسع سنين .. وذلك ليس للانشغال عن الحفظ أو رداءة الفهم.. ولكن بسبب التدقيق والتطبيق .

وقد سأل الإمام الشافعى شيخه « وكيعاً » بم حصلت على العلم . . ؟ فقال : « بطول السهر ، وافتراش المدر ، والاستناد على الحجر » . ثم أنشد قائلا :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

الصفة الثالثة :

أن لا يتكبر على العلم ولا على المعلم . . لأن العلم وخاصة القرآن يضيع بين (الكبر والخزى والكسل) فيجب أن يكون متواضعاً ، لأن الكبر دافع إلى الأنفة من الناس ، ومن أنف منهم بعد عنهم، ومن بعد عنهم انقطع به سبيل المعرفة ، والخزى يمنعه من التساؤل . . فالعلم خزائن ومفاتيحها السؤال ، والكسل يدعو إلى تأجيل الاستذكار ويكسر ملكة الفهم ويحل عزيمة الطالب ، ويجب عليه الاحترام لمعلمه كما فعل الصحابة الأجلاء فيما يرويه الشعبى قال : « صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابها .. فقال زيد : خل عنك يا ابن عم رسول الله .. فقال ابن عباس : هكذا

أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء .. فقبل زيد يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم » وهنا يقول الإمام الغزالى : « فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم .. ومن التكبر على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة ، لأن العلم سبب النجاة والسعادة » ثم يضرب المثل فيقول : « إن من يطلب النجاة من سبع ضار مفترس لا يفرق بين أن يرشده إلى الهرب من وجه السبع مشهور أو خامل » ثم يعلق قائلا : « وضراوة سباع النار بالجهال بكتاب الله أشد ضراوة من كل سبع » .

إن الحكمة ضالة المؤمن « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » والقائل يقول :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

الصفة الرابعة :

أن يقصد بتعلمه للقرآن تحلية باطنه ، ونقاوة نفسه ، وطهارة سريرته ، وأن يقصد به القرب إلى الله ، والترقى إلى جوار الملأ الأعلى ، والانضمام إلى صفوف الملائكة ، كما أخبرتنا السيدة عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » . وفى حديث آخر أن الملائكة كانت تنزل لتسمع إلى أسيد بن حضير عند قراءته القرآن ، وقد رآها مثل الظلة إلا أنه لم يعرفها . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصف له ما رأى .. وإليكم نص الرواية كما هى فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى : أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ فى مربده[1] إذ

(١) المربد : بفتح الميم وسكون الراء وفتح البـاء المكان الذى يجفف فيه التمر .

جالت[1] فرسه .. فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضا ، وقال أسيد فخشيت أن تطأ (يحى)[2] . . فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها .. قال : فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربدى إذ جالت فرسى . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ ابن حضير » قال فقرأت . ثم جالت أيضاً .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ ابن حضير » قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ ابن حضير » قال فانصرفت . وكان يحى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج[3] عرجت فى الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم »[4] .

وما الماهر بالقرآن . وما أسيد بن حضير إلا نماذج إنسانية ارتفعت بالقرآن حتى سمت إلى الملائكة ، أو نزلت الملائكة إليهم . . فالذى يتعلم القرآن متجرداً من المقاصد الدنيوية ــ اللهم إلا ما يعينه على تحقيق الخير فيها ــ ومتحلياً بصفاء الطوية كان فى زمرة أسيد بن حضير وأبى بن كعب الذى سماه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ليقرأ الرسول عليه القرآن .

الصفة الخامسة :

أن لا يبخل بالإنفاق على تعلم القرآن ، وليعلم أن كل قرش

---

(١) جالت : هاجت ونفرت .
(٢) يحي هو ابن أسيد بن حضير .
(٣) السرج : المصابيح المنيرة .
(٤) صحيح مسلم كتاب « فضائل القرآن » باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

ينفقه من ماله ما هو إلا قرض حسن يقدمه لله . . وليعلم أن تعلم القرآن عبادة محضة ، والمـال الذى ينفق فى العبادات لا يستكثر ، وأنه بمنزلة الزكاة والحج والصدقات . . وقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعلى فى بذل المـال والتضحية به فى سبيل طلب العلم . . وتعلم القرآن هو منتهى العلوم ؛ وملتقى المقاصد والحكم . . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل أثبته هنا عسى أن ينفعهم الله به وهو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتعلمون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » صدق رسول الله[1] .

والمثل الأعلى فى التضحية بالمـال هو ما فعلته السيدة (أم ربيعة الرأى) شيخ الإمام مالك رضى الله عنهم ، فان هذه السيدة أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار ، وإليك قصتها : « كان فروخ وهو والد الطفل (ربيعة) خرج فى البعوث[2] إلى خراسان أيام بنى أمية وربيعة حمل فى بطن أمه ، وخلف عند زوجته ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسه وفى

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٨ — ٧١

(٢) البعوث : الغـزو .

يده رمح . . فنزل يدفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال : يا عدو الله أتهجم على منزلى . . ؟ فقال فروخ : وأنت يا عدو الله دخلت على حرمى .. فتواثبا حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس . . فأتوا يعينون ربيعة . . وكثر الضجيج . . وكل منهما يقول : لا فارقتك . . فلما بصروا بمالك سكتوا فقال مالك : أيها الشيخ ألك سعة فى غير هذه الدار؟. فقال الشيخ : هى دارى وأنا فروخ .. فسمعت أم ربيعة كلامه — وكانت فى الداخل لا تعلم بما يحدث — فخرجت وقالت هذا زوجى وهذا ابنى الذى خلفه وأنا حامل به . . فتعانقا وبكيا ودخل فروخ المنزل وقال هذا ابنى ... ! ! ؟ فقالت نعم .. قال : أخرجى المال الذى عندك ، قالت دفنته وأنا أخرجه .. ثم خرج ربيعة إلى المسجد ، وجلس فى حلقته العلمية فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة ، وأحدق الناس به ، وقالت أمه لزوجها : اخرج فصل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فخرج فنظر إلى حلقة وافرة بالعلم والناس ، فأتاها فوقف عليها ، فنكس ربيعة رأسه ليوهم أباه أنه لم يره ، وعليه قلنسوة طويلة ، فشك أبوه فيه فقال من هذا الرجل ؟ فقيل له : هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن .. فقال : لقد رفع الله ابنى .. ورجع إلى منزله وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها .. فقالت المرأة : فأيما أحب إليك : ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه ؟ فقال : لا والله .. بل هذا . . فقالت : لقد أنفقت المال كله عليه . . قال : فوالله ما ضيعته » (١) .

ولما ختم حماد بن أبى حنيفة سورة الفاتحة ، أعطى أبوه للمعلم

---

(١) هذه القصة من كتاب « من أخلاق العلماء » ص ١٤٧ ، ١٤٨ لفضيلة الشيخ محمد سليمان عن ابن خلكان .

خمسمائة درهم » . فقال المعلم : ما صنعت حتى أرسل إلى هذا ؟ فأحضره أبوه واعتذر إليه ، وقال : لا تستحقر ما علمت ولدى . والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيما للقرآن .

وفى هذا اجتمعت عفة المعلم مع سخاء أبى حنيفة .

الصفة السادسة :

التحلى بالأدب فى مجلس التعليم ،مع المعلم وأيضاً مع أضرابه فأما مع العلم فلا يتبجح ،ولا يأتى بأعمال يأنف منها أستاذه كالكلام والانصراف بدون إذن منه ، وكذا الدخول عليه بدون تسليم ، وأن يجلس أمامه بسكينة ووقار ،وأن لا يرفع صوته على صوت أستاذه فى كلام خارج عن الدرس . . أما رفع الصوت فى مسألة علمية فمطلوب ليكتسب الجرأة فى القراءة ، وليتمكن من إظهار الحروف أمام شيخه .. وأما مع الزملاء فيحترم كل واحد منهم ، فلا يعبث بأدواتهم ومصاحفهم ولا يهوش عليهم برفع الصوت ، ولا يعطلهم عن أداء واجباتهم ، وإذا طلب أحدهم العون أعانه ، وأن يوثق العلاقة الحسنة بهم حتى خارج الدرس .. فيعود المريض ويسأل عن الغائب ، ويعين المحتاج بقدر استطاعته ، ويشاركهم الأحزان والأفراح ... بقى بعد ذلك وهو الأهم .. احترامه للقرآن .. فلا يعبث بأدواته ، ولا يقحم نفسه فيما يدنسها .

وأما آدابه وصفاته مع الناس عامة .. فهى أن يتحلى بالصدق ليتنزه عن الكذب ويحترم مجلس الكبار ، فإن جلس فبأدب ، وإذا تكلم فبعد استئذان ، وإذا دخل أو انصرف سلم .. أما ما يفعله الآباء والأمهات من عزل للأبناء عن مجالس الكبار فضرره أكثر من نفعه — إن كان فيه نفع — وما يقال : إذا تكلم الكبار سكت الصغار ..

فهذا خطأ وأى خطأ . . ولكن الأفضل : إذا تكلم الصغار صمت الكبار ، وأصغوا إليهم بآذان واعية، وقلوب متفتحة،وعقول يقظة ، ليصححوا لهم كلامهم ، وليرشدوهم إلى الكلام المفيد ، وليشجعوهم على صوابهم،وينبهوهم على خطئهم .. وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا . . وهو أنه كان جالساً مع أصحابه فقال فى رواية عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى ؟ » فوقع الناس فى شجر البوادى ـ قال عبد الله بن عمر: ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ـ ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله . . قال صلى الله عليه وسلم : « هى النخلة »[1] .

فى هذا الحديث رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترك فى مجلسه الصبى الصغير عبد الله بن عمر ومعه كبار الصحابة ، وعبد الله ضرب المثل فى الأدب والحياء فلم يتكلم فى المجلس . . وبعد أن انفض المجلس ، وذهب عبد الله مع أبيه حدثه بما كان فى نفسه من معرفته لجواب سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولكن حياءه منعه . . فقال أبوه : لو كنت قلتها لكان أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا من حمر النعم . . وهنا يشجع عمر رضى الله عنه ابنه على إبداء الرأى ، بل ويعتز برأيه . . ولذلك فضل رأى إبنه عن ملكيته لعدد من الإبل .

وينبغى للمتعلم أن يتعود من صغره على فعل الطاعات وذلك بأداء العبادات ، وفعل الخيرات ، ليشب مؤمناً بما يتواءم مع القرآن الكريم .

---

(١) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة ٨/ ١٣٧ .

وقدوته فى هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أجاب سائلا قال له : من أدبك يا رسول الله ؟ .. فقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله أدبنى فأحسن أدبى ثم أمرنى بمكارم الأخـــلاق فقال : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » . .[1]

(١) خرج الحديث الإمام المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ٢٢٥ قال : ابن السمعان الإمام أبو سعد فى كتاب « أدب الاملاء » من جهة صفوان ابن مغلس الحنظى عن محمد بن عبد الله عن سفيان الثورى عن الأعمش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أدبنى فأحسن أدبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

الفصل الخامس
حكم تعليم القرآن للكافر

الكافر هو من كفر بالله سبحانه وتعالى شركاً به ، أو إنكاراً لوجوده ، أو لصفة من صفاته ، أو لإسم من أسمائه ، أو شكاً فى فعل من أفعاله ، أو نسب إليه ما لا يليق بذاته . . وبالجملة لم يقدره حق قدره ، أو كفر بما يأتى من قبل الله . . كتباً أو رسلا وأنبياء ، أو أنكر خلقاً من خلق الله عز وجل كالملائكة ، أو أنكر ما جاء به الدين بالضرورة كاليوم الآخر وما فيه من بعث وصراط وميزان وجنة ونار ، أو نسب لله ولداً أو بنتاً من الإنس والجن . أو أنكر القضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

فهل هذا الكافر الذى نجس حساً وباطناً يجوز له أن يتعلم القرآن ؟

إن القاعدة الأصلية الثابتة فى القرآن هى « **لا يمسه إلا المطهرون** » والمس يطلق على الحسى والمعنوى .. فالحسى بالجسم وجوارحه .. وهذا يحرم على المسلم والمسلمة جنابة وحيضاً ونفاساً ، والمس المعنوى بالقراءة لأنه يمسه بالقلب والعقل والوجدان .

فما بال الكافر الذى نجس حساً وباطناً . . فنجاسته الحسية حيث أنه لا يتحرر من النجاسة ولا يتطهر من الجنابة . . فكيف يمس ظاهره ظاهر القرآن بجريانه على لسانه ؟ .

ونجاسته المعنوية حيث أنه لم يتطهر بالإيمان . . وهذا بمثابة حاجز

بينه وبين فهم القرآن وتدبره والاتعاظ به والاقتناع بصدقه . . وهذا له شواهد كثيرة . . فكم من المستشرقين الذين دأبوا على قراءة القرآن حتى حفظوه ، قالوا عنه كلاما جميلا .. ولكن وأسفاه أصروا على ما هم عليه من عدم الإيمان بنبي القرآن .. وإليك جملة من أقوالهم[1].

قال المستشرق الألمانى الدكتور « شومبس » فى القرآن الكريم فى إحدى الجمعيات :

« يقول بعض الناس أن القرآن كلام محمد — وهو خطأ محض — فالقرآن كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد ، فليس فى استطاعة محمد ذلك الرجل الأمى فى تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام من عنده تحار فيه عقول الحكماء ، ويهدى الناس من الظلمات إلى النور » .

وقال المستشرق « ماكس متى » :

« إن مرشد المسلمين هو القرآن وحده .. والقرآن ليس بكتاب دينى فقط .. بل هو أيضاً كتاب الآداب والحياة السياسية والاجتماعية.. بل هو يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية . . والأحكام الإسلامية التى توجد فى القرآن توجد فى السنة ، والتى لا تكون واضحة لا فى القرآن ولا فى السنة توجد فى الفقه الواسع الذى هو علم الحقوق الإسلامى » .

يقول ناقل هذه الكلمات عن المستشرقين : « هذا وإن من عظمة القرآن فى ذاته إقرار علماء الإفرنج بسمو مكانته ، واعترافهم برفيع

---

(١) رواها الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى الخطاط (كاتب مصحف مكة المكرمة) فى كتابه « تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه » ص ١٨ ، ١٩ طبعة ثالحلبى بالقاهنية مصطفى ارة .

منزلته . . . ثم يقول : وهناك بعض من نوابغ مستشرق الإفرنج ممن تخصص لحفظ القرآن ، وفهم تفاسيره ، ومن يعتنى بعلم القراءات وفن التجويد ، ومن ينقطع إلى دراسته ، وبيان مزايا دين الإسلام . . ولهم فى ذلك مؤلفات (وإن بقوا على دينهم) .

وهذا هو بيت القصيد (وإن بقوا على دينهم) إذن رغم ما عرفوه إلا أنهم لم يؤمنوا برسوله . . وكيف لا وأسلافهم القدامى هم الذين أخبرنا عنهم القرآن فقال جل شأنه « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** »(١) وبناء على ما تقرر فإنه يمنع من مس القرآن ظاهراً كمسه المصحف بيده ولسانه ، وباطناً بقلبه أن يمنع من مسه وقراءته .. إلا أن الإمام النووى(٢) رضى الله عنه قال : « إن كان يرجى إسلامه فلا يمنع من تعلمه وقراءته ، وإن كان لا يرجى فيمنع . . هذا وقد استشهد بقوله تعالى : « **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** »(٣) .

والله تعالى أعلم .

مسألة :

إذا كان حكم الكافر هكذا بالنسبة لمسه المصحف وقراءته للقرآن فان الحكم بمنع بيع المصحف له يكون آكد وأبلغ وكذلك إهداؤه له . والله تعالى أعلم

---

(١) الآية رقم ١٤٦ من سورة البقرة .
(٢) فى كتاب التبيـــان فى آداب حملة القرآن .
(٣) الآية ٦ من سورة التوبة .

الباب الرابع

تلاوة القرآن وأحكامها

وفيه ستة فصول :

١ ـ فضل القرآن . وفضل حامله وثوابه .

٢ ـ طرق القراءة وأحكامها . الترتيل وفيه مسائل ، والتجويد وفيه مسائل .

٣ ـ أماكن وأوقات القراءة . ما يستحب منها وما يجتنب .

٤ ـ آداب القارئ وقت القراءة .

٥ ـ سجدات التلاوة وأحكامها .

٦ ـ الرقية بالقرآن .. حكمها وأدلتها .

مسائل فى : ١ ـ هل الأفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر قلب ، ٢ ـ فضل قراءة الجماعة بالتناوب ، ٣ ـ حكم اقتران القراءة بالقيام بأعمال دنيوية ، ٤ ـ فيما يفعله النــاس من قراءة القرآن على المقابر .

الفصل الأول

فضل القرآن وفضل حامله وثوابه

قال الله عز وجل على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : **« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين . وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين »** الآيتان من آخر سورة النمل[1] .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرنى ربى أن أتلو القرآن ، كما هو فى سورة المزمل **« ورتل القرآن ترتيلا »** والأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لأمته . . فإن أطاعوه وعملوا به أثابهم الله من فضله على عملهم هذا . . ولذلك قال جل شأنه فى سورة فاطر : **« إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور »**[2] وقوله تعالى : **« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »**[3] .

---

(١) الآيات : ٩١ ، ٩٢

(٢) الآيات : ٢٩ ، ٣٠

(٣) سورة الاسراء : ٩

وقوله تعالى : « **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً** » أول سورة الكهف

وقوله تعالى : « **ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** » أول سورة البقرة

والآيات كثيرة فى فضل القرآن .. أما السنة فقد مربك حديث السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه » .

(الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول الأصل ٢٥٣)

وعن أبى أمامة رضى الله عنه يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة ، إن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن »

(نفس المصدر السابق)

وفى مقدمة تفسير القرطبى[١] عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن مأدبة الله

---

(١) أسنده أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد بن الأنبارى النحوى اللغوى فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان .

فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن رد أحدكم ، فاتلوه فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات، أما أنى لا أقول الم حرف ، ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، إن أصفر البيوت من الخير . البيت الصفر[1] من كتاب الله » .

وروى الترمذى وقال حديث صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى فيقول له اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة » .

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » أ هـ . القرطبي بتصرف .

والأحاديث والآثار فى فضل القرآن وحامليه أيضا كثيرة نكتفى منها بهذا القدر هنا .. لأن الفصول الآتية بإذن الله ستتضمن المزيد .

والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) البيت الصفر أى الخالى من القرآن .

الفصل الثانى
طرق القراءة وأحكامها

أولا طريقة الترتيل : وهى الطريقة المثلى . . وتحتها مسائل :
المسألة الأولى فى بيانها :

لقد ورد الأمر بها والإرشاد إليها فى قولهتعالى :« **ورتل القرآن ترتيلا** »[1] وقوله تعالى : « **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** »[2] . وكلمة « فرقناه » فيها قراءتان : الجمهور بتخفيف (الراء) . وابن عباس وعلى وابن مسعود وأبى بن كعب وقتادة ومن معهم بتشديد (الراء) فعلى قراءة التخفيف يكون معنى كلمة (مكث) أى على ترسل وتمهل فى التلاوة والترتيل ، فيعطى القارئ القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان فان ذلك حرام ، وعلى قراءة تشديد الراء فيكون معنى (مكث) تطاول فى مدة النزول شيئاً بعد شىء[3] .

---

(١) الآية رقم ٤ من سورة المزمل .
(٢) الآية رقم ١٠٦ من سورة الإسراء .
(٣) تفسير القرطبى طبعة دار الشعب (عند تفسيره لهذه الآية) .

وقال الله تعالى : « **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** »[1] يقول الإمام القرطبي فى تفسيرها : « إن المعنى يرتلون ألفاظه ويفهمون معانيه فان تفهم المعانى يكون بالاتباع لمن وفق » وهنا رأى يقول: إن المعنى : « يتبعونه حق اتباعه » ويمكن الجمع بين الرأيين والأخذ بهما ، وهو أنه ليس هناك مانع يمنع من اتباع القرآن حق الاتباع مع إعطاء الحروف والكلمات حقها من الترتيل ، ولأن القراءة المستوفية حقها تؤثر فى النفوس والأفئدة ، الأمر الذى يترتب عليه صلاح القارئ والسامع فيتبعان القرآن حق اتباعه .

ويؤيد هذا قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « **لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه** »[2] فكلمة « فاتبع قرآنه » تؤدى المعنيين معا اتباع القراءة ، واتباع القرآن ، إذ أن القرآن والقراءة مصدران مترادفان .

* * *

المسألة الثانية : ما يجتنب فيها :

قد يترتب على القراءة بطريقة الترتيل أن يسرع القارئ إسراعا مفرطاً بحيث يخل بالقراءة من حيث عدم توفيتها حقها من الأحكام والتدبر.. وهذا الإسراع يسمى فى اللغة بالهذ . . وقد ورد النهى عنه فى صحيح مسلم عن أبى وائل قال : جاء رجل يقال له « نهيك بن سنان » إلى عبد الله (بن مسعود)[3] فقال: يا أبا عبد الرحمن .. كيف نقرأ

(١) الآية رقم ١٢١ من سورة البقرة .
(٢) الآيات رقم من ١٦ إلى ١٨ من سورة القيامة .
(٣) (ابن مسعود) زادها المؤلف للإيضاح حيث ذكر فى المتن عبد الله فقط وأنبه بأنه إذا ذكر عبد الله فقط فينصرف إلى عبد الله بن مسعود .

هذا الحرف ألفاً تجده ألفاً أم تجده ياء « من ماء غير آسن أو من ماء غير ياسن » قال فقال عبد الله : وكل القرآن أحصيت غير هذا ؟!! قال إنى لأقرأ المفصل فى ركعة .. فقال عبدالله هذا كهذ الشعر؟! إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم .. ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع ، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود .. إنى لأعلم النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن .. سورتين فى كل ركعة .. ثم قام عبد الله فدخل علقمة فى أثره ثم خرج فقال : قد أخبرنى بها »[1].

ولعل سائلا يقول ما هى النظائر التى أخبر بها علقمة ..

والرواية الثانية توضح ما أخبر به عبد الله بن مسعود علقمة .. قال وائل فجاء علقمة ليدخل (عليه)[2] فقلنا له : سله عن النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى ركعة .. فدخل عليه فسأله، ثم خرج علينا فقال: عشرون سورة من المفصل فى تأليف عبد الله »[2].

ففى هاتين الروايتين نجد « نهيك بن سنان » يقول لعبد الله بن مسعود : إنى أقرأ المفصل كله فى ركعة واحدة .. فرد عليه عبد الله : إنك تهذ كهذ الشعر .. أى تسرع إسراعاً مفرطاً ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ المفصل كله فى ركعة ، بل كان يقرأه فى عشر ركعات .. أى فى كل ركعة سورتين ، وهذا القدر الذى كان يقرأه (نهيك) فى الركعة يدل على كثرة حفظه وإتقانه .

ومن هنا نعلم أن الإسراع المفرط فى الترتيل منهى عنه وهذا ما قاله الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ : ٢/ ٢٠٤

(٢) الضمير فى عليه يرجع إلى ابن مسعود .

المسألة الثالثة :

هذه المسألة تترتب على ما قيل فى سابقتها « فى كم يقرأ القرآن » وأستطيع عنونتها بهذا العنوان . . هناك أقوال كثيرة منها أنه يختم كل شهر ، ومنها كل خمسة عشر يوما ، ومنها كل عشرة أيام ، ومنها كل أسبوع ، وكل ثلاثة أيام ، وكل يوم . . وهذه هى الروايات فى ذلك :

روى الطبرانى بسند جيد : سئل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن ؟ قال : « كان يجزئه ثلاثاً وخمساً »(١) .

وروى أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأ القرآن فى كل أسبوع ولا تزد »(٢) .

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : « فى شهر » قال : إنى أقوى من ذلك – ردد أبو موسى هذا الكلام – وتناقصه حتى قال : « اقرأه فى سبع » قال : إنى أقوى من ذلك قال : « لا يفقه من قرأه فى أقل من ثلاث »(٣) .

وفى رواية البخارى عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن فى شهر » قلت إنى أجد قوة . . . حتى قال : « فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك »(٤) .

---

(١) حديث الطبرانى ذكره الزركشى فى البرهان جـ ١ ص ٤٧١ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة وذكره الزركشى فى البرهان فى نفس الصفحة .

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله .

(٤) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن باب فى كم يقرأ القرآن : ٦ / ٢٤٣

وفى سنن الترمذى عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » .

ويمكن أن يفهم من هذه الروايات أن قراءة القرآن فى أقل من ثلاثة أيام مكروهة كما حكى الزركشى ثم قال : وحملوا عليه حديث : « لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » .

وفى موضع آخر يقول الزركشى : « يستحب استيفاء كل حرف أثبته قارئ » ثم ذكر قول الحليمى : « هذا ليكون القارئ قد أتى على جميع ماهو قرآن ، فتكون ختمة أصح من ختمة : إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرئ بها » أ . هـ .

وهذا يختلف بحسب أحوال الناس .. فكل شخص يأخذ بما يناسبه فى النشاط والضعف ، والتدبر والغفلة ، والتفرغ وسعة الوقت ، أو الانشغال بأعماله وضيق وقته .. فليس المهم مقدار ما يقرأ .. بل المهم هو التدبر وإتقان القراءة وحسن العمل .

* * *

المسألة الرابعة : تقسيم القرآن إلى طول ومئين ومثان ومفصل :

فى الكلام السابق وردت كلمة المفصل . . ولعل سائلا يسأل : « ما هو المفصل من القرآن ؟ » وما هى العشرون سورة التى كان يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وكلام الإمام النووى[1] يتضمن الإجابة فقال : « جاء بيان هذه السور العشرين فى رواية فى سنن أبى داود : الرحمن والنجم فى ركعة ، واقتربت والحاقة

---

(١) فى شرحه لحديث مسلم الذى مضى فى المسألة الثانية (ما يجتنب فى الترتيل) .

فى ركعة ، والطور والذاريات فى ركعة ، والواقعة ونون فى ركعة ، وسأل سائل والنازعات فى ركعة ، وهل أتى ولا أقسم فى ركعة ، وعم والمرسلات فى ركعة ، والدخان وإذا الشمس كورت فى ركعة » أ هـ .

أما الكلام عن المفصل فاعلم أن العلماء قالوا : إن القرآن على أربعة أقسام : الطول ، والمئون ، والمثانى ، والمفصل .

فالطول : بضم الطاء المشددة وفتح الواو سبع سور هى : (البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، والتوبة) وهذه ثمانى لأنهم عدوا الأنفال والتوبة سورة واحدة ، ولذلك لم يفصلوا بينهما بالبسملة لأنهما نزلتا جميعاً فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسميت طولا لطولها .

والمئون : هى السور التى بعد التوبة وسميت بذلك لأن كل سورة تزيد على المائة آية أو تقاربها .. فاعلم أن كل سورة تزيد على المائة آية أو تقاربها فهى من المئين .

والمثانى : ما ولى المئين .. وقد سمى القرآن كله مثانى لأن الأنباء والقصص تثنى فيه أو لأنه جمع بين الأمور المزدوجة مثل : الأمر والنهى ، والخبر والإنشاء والترغيب والترهيب . . . الخ . وقيل تطلق المثانى على سورة الفاتحة لأنها تثنى فى كل ركعة[١] أو لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سماها له الوحى بالمثانى .. قال الإمام أحمد[٢]

---

(١) الكلام عن تقسيم القرآن طول ومئين ومثانى من البرهان للزركشى .

(٢) والكلام عن حديث المثانى من تفسير ابن كثير فى تفسير سورة الفاتحة : ١ / ٢١ ط الشعب

فى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى أم القرآن : « هى أم القرآن ، وهى السبع المثانى ، وهى القرآن العظيم » والحديث القدسى قال الله عز وجل فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين : . ولعبدى ما سأل . . فاذا قال العبد (**الحمد لله رب العالمين**) قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال (**الرحمن الرحيم**) قال الله : أثنى على عبدى فاذا قال (**ما لك يوم الدين**) قال مجدنى عبدى . فاذا قال (**إياك نعبد وإياك نستعين**) قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : (**إهدنا الصراط المستقيم**) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .(١)

ومعنى الصلاة فى قوله سبحانه : « قسمت الصلاة » أى القراءة .

والمفصل (بضم الميم وفتح الفاء وفتح الصاد المشددة) هو ما يلى المثانى وسمى مفصلا لقصر سوره ، ولكثرة الفواصل التى بين السور بالبسملة .. واختلف فى أوله .. والقولُ الصحيح عند أهل الأثر أن أوله سورة (ق) قال أبو داود فى سننه(٢) بسنده إلى أوس بن حذيفة قال أوس : فسألت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن فقالوا : « ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشر وثلاث عشرة

---

(١) وسند الحديث القدسى : قال مسلم : حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلى هو ابن راهويه ، حدثنا سفيان بن عيينه عن العلاء يعنى ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحرق عن أبيه عن أبى هريرة والحديث رواه النسائى ، وابن اسحاق والترمذى وعبد الله بن الإمام أحمد انظر تفسير ابن كثير : ١ / ٢٥ .

(٢) هذه الرواية من البرهان للزركشى جـ ١ ص ٤٢٦ ، ـ ٤٢ .

وحزب المفصل وحده » . فاذا جمعنا هذه الأعداد وجدناها ثمانية وأربعين تبدأ بالبقرة حتى آخر الحجرات،وهذه الرواية تؤيد من قالوا : إن أول المفصل سورة (ق) وآخر سورة (الناس) .

والله تعالى أعلم .

* * *

المسالة الخامسة : نزيد القارئ معرفة بكيفية قراءة القرآن فى سبعة أيام على سبعة أحزاب .

الحزب الأول : فاتحة الكتاب . البقرة . آل عمران . النساء . . (ثلاث سور غير فاتحة الكتاب) .

الحزب الثانى : المائدة . الأنعام . الأعراف . الأنفال . التوبة (خمس سور) .

الحزب الثالث : يونس . هود . يوسف . الرعد . إبراهيم . الحجر . النحل (سبع سور) .

الحزب الرابع : الإسراء . الكهف . مريم . طه . الأنبياء . الحج . المؤمنون . النور . الفرقان (تسع سور) .

الحزب الخامس : الشعراء . النمل . القصص . العنكبوت . الروم . لقمان . السجدة . الأحزاب . سبأ . فاطر . يس (١١ سورة) .

الحزب السادس : الصافات . ص . الزمر . غافر . فصلت . الشورى . الزخرف . الدخان . الجاثية . الأحقاف . محمد . الفتح . الحجرات (ثلاث عشرة سورة) .

الحزب السابع : من أول سورة (ق) حتى نهاية سورة (الناس)

ومن السنة أن يقرأ بعدها فاتحة الكتاب ، والخمس آيات الأولى من سورة البقرة وآخرها : « **وأولئك هم المفلحون** » .

وهذا لمن وفقه الله على فعل الطاعات وكان لديه من الوقت ما يتسع لذلك ، ثم يدعو بما يشاء وإن كان هناك دعاء مأثور رواه البيهقى فى دلائل النبوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو عند ختم القرآن : « اللهم ارحمنى بالقرآن ، واجعله لى أماناً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكرنى منه ما نسيت ، وعلمنى منه ما جهلت ، وارزقنى تلاوته آناء الليل ، واجعله لى حجة يا رب العالمين » .

وفى قراءة ابن كثير أن القارئ يكبر عند أول سورة « والضحى » فيقول : الله أكبر ثم يسكت سكتة ثم يقرأ .. وهكذا فى نهاية كل سورة حتى يصل إلى آخر « **قل أعوذ برب الناس** » .

ولكن القراء غير ابن كثير لا يكبرون فى قراءتهم ، وقال فى ذلك سليم الرازى : ولا يكبر فى قراءة الباقين ، ومن حجتهم أن فى ذلك ذريعة إلى الزيادة فى القرآن ، فيتوهم أنه من القرآن فيثبته فيه » . أ . هـ .

وإنى أستحسن قول سليم الرازى لأن كثيراً من البدع ألحقت بالسنن فأخذت صفتها من الثبوت .. والله تعالى أعلم .

* * *

ثانيا : طريقة التجويد :

وهى أيضا مستحبة .. والتجويد هو تحسين الصوت وتزيينه مع الالتزام بأحكام القراءات من المد والقصر والإدغام والإظهار .. الخ .. وذلك لإشباع الحروف باستيفائها حقها من هذه الأحكام .

وهذه الطريقة تؤيدها النصوص من السنة النبوية . فقد روى أبو يعلى عن طريق عثمان النهدى قال : دخلت دار أبي موسى فما سمعت صوت صنج ولا بربط[1] ولا ناى أحسن من صوته » ، واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال : « لقد أوتى هذا من مزامير داود » فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يا رسول الله : « لو أعلم أنك تسمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا » أى لرفعت صوتى وحسنته وزينته .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عبد الله بن قيس أو الأشعرى أعطى مزماراً من مزامير آل داود » . وفى الرواية الثانية عن أبي موسى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى : لو رأيتنى وأنا استمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داو د »[2] ومعنى هذا أن أبا موسى كان يقرأ بطريقة الترتيل بصوت حسن . ولما سمع هذا من الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : « لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيراً » أى كنت رفعت صوتى وحسنته وزينته .

* * *

مسالة أولى :

ولكن هذه الطريقة عبارة عن خيط رفيع بين المستحب والمكروه ففيها محاذير لابد أن تجتنب ويحذر منها ، فإن القارئ بها إذا لم يراع

---

(١) الصنج : آلة موسيقية تشبه العود وهو لفظ معرب .

والبربط : فى الأصل هو صدر الأوز والعود يشبهه .

(٢) صحيح مسلم كتا فضائل القرآن با استحبا تحسين الصوت بالقرآن : ٢ - ١٩٢ ، ١٩٣

الدقة فى الأحكام ومستلزماتها فربما مطط بحروف المد فيخرج بالحروف الممدودة عن حدها فيجعل الألف الواحدة ألفات والياء ياءات والواو واوات أو يقصر ما ليس بمقصور وبذلك يدخل فى القرآن ما ليس منه . . فيكون حراما .

وإذا أدت هذه الطريقة إلى الترعيد والترجيع فيكون مكروها.. والترعيد هو أن يرفع القارئ صوته ثم يخفض ثم يرفع ثم يخفض وهكذا .. وذلك فى الحرف الواحد .. والترجيع أن يجعل القارئ صوته يتردد فى حلقه .

والإمام الشافعى[1] رضى الله عنه كره هذا إذا مطط القارئ وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص ، أو مد غير ممدود ، وإدغام ما لا يجوز إدغامه .. ونحو ذلك » .

وإذا أدى التطريب إلى عدم فهم القرآن يكون حراماً كما يفعل بعض القراء الذين يغترون بأصواتهم الجميلة فتسمعه ونادراً ما تسمع منهم كلمات القرآن بوضوح .

* * *

مسألة ثانية :

قال الإمام القرطبي : « قلت : إذا لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات فهذا حرام » أ . هـ بتصرف .

ثم استطرد فقال : « كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز

---

(١) قال هذا الإمام النواوى فى شرحه لحديث أبى موسى الأشعرى من صحيح مسلم باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .

ضل سعيهم ، وخاب عملهم .. فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، يهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا فى تنزيله ما ليس فيه، جهلاً بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم » .

هذا . . وقد اكتفيت بهذا القدر من كلامه ففيه تجريح لقراء مصر .. ثم إنه رحمه الله أطلق حكمه،على جميع قراء مصر والحقيقة غير ذلك فبعضهم يصدق عليهم حكمه ، والبعض الآخر متزن وملتزم بقواعد الأحكام مع حسن الصوت والخشوع فيه .

أما الذين يصدق عليهم حكمه فإنهم لم ينتهوا إلى حد الغناء الزائد عن الحد بل يفعلون ما هو أدهى وأمر .. ألا وهو الرياء بقراءتهم .. فاذا كان المجلس الذى يقرأ فيه يضم الأعيان من رؤساء ووزراء قرأ بحسن صوت بل يتغنى ويترنم ، وإذا كان المجلس من عامة الناس قرأ بتكاسل وخمول حتى يكاد السامع يقول « ليته سكت » هذا وقد لاحظ الناس ذلك على نفر من القراء المشهورين .. فليتهم ينتهون عن هذا لأنهم بذلك يسيئون إلى سمعة حملة كتاب الله رب العالمين .

* * *

مسألة ثالثة :

« حول اقتراح تلحين القرآن موسيقياً » .

لقد سمعنا أن بعض الناس ينادون بتجربة تلحين القرآن موسيقياً شأنه فى ذلك شأن القصائد والأناشيد . . ويعلل أصحاب الفكرة لهذا الرأى بأن هذا سيجذب قلوب الناس . . وهذه فكرة مبتدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير[1] رواية عن البخارى والحكيم الترمذى[2] عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، فإنه سيجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم » .
ويقول ابن كثير : « إن المطلوب هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه ، والخشوع ، والانقياد والطاعة .. فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية ، والقانون الموسيقى ، فالقرآن منزه عن ذلك ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك » أ . هـ .

إن للقرآن ألحانه الخاصة به التى نزل بها من الله ، وله موسيقاه الفطرية التى لا تحتاج إلى التكلف الذى يصنع فى القصائد والأناشيد .. وهذا الحديث السابق نراه يبدأ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن بلحون العرب . . » ويقول فى هذا المعنى الدكتور صبحى الصالح[3] : « فذلك شأن الايقاع فى القرآن .. ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان ، وتضبط بالحركات والسكنات ، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل ، أو الزيادة والتكرار ، أو الحذف والنقصان ، ولا الألفاظ تحشد حشداً ، وتلصق إلصاقاً ، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب .. بل الفاصلة طليقة من كل قيد ، والنظم بنجوة من كل صنعة ، والألفاظ بمعزل

---

(١) فى كتاب فضائل القرآن تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا .
(٢) رواه الترمذى فى كتابه « نوادر الأصول » : الأصل ٢٥٣ ص ٣٣٢ وما بعدها.
(٣) فى كتابه « مباحث فى علوم القرآن » ص ٣٣٤ .

عن كل تعقيد ، يلين أو يشتد ، ويهدأ أو يهيج ، ينساب انسياباً كالمــاء إذ يسقى الغراس ، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهرّ الأنفاس » .. ثم يسوق أمثلة لذلك فيقول : « إن المرء ليحار إذا قرأ مثلا سورة الرحمن فيتساءل : هل انبعث إيقاعها الرخى المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها ؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسرى فيها كلها ، فى فواصلها ومقاطعها ، وفى ألفاظها وحروفها ، وفى انسياقها وانسيابها ، حتى لو انتقى مقطعاً واحداً من مقاطعها ، أو موضوعاً واحداً من موضوعاتها ، والتمس فى أجزائه النغم والإيقاع لـكان فى كل جزء منه نغمة ، وفى كل حرف منه لحن من ألحان السماء » . وفى مثال آخر يقول : « أرأيت لوناً أزهى من نضرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى ربها ، ولوناً أشد تجهماً من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة فى قوله تعالى : « **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة . ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة**»[1] لقد استقلت فى لوحةالسعداء لفظة ناضر ةبتصوير أزهى لون وأبهاه . كما استقلت فى لوحة الأشقياء لفظة باسرة برسم أمقت لون وأنكاه » .

والأمثلة التى ذكرها الدكتور صبحى ليست هى الوحيدة ذات اللون البارز .. ولـكن القرآن كله نسق ونسيج واحد فى الكمال وفى ذات الوقت يتنوع بتنوع المواقف بين الحث والزجر ، والترغيب والترهيب ، والصلاح والفساد ، والجنة والنار ، والطامعين والعصاة ، والسلم والحرب ، والتوحيد والشرك ، والإخلاص والنفاق . . وفى ذلك يقول : «إن هذا القرآن يمتاز بأسلوب إيقاعى غنى بالموسيقى مملوء نغماً حتى

(١) الآيات ٢٢ إلى ٢٥ من سورة القيامة .

ليكون من الخطأ الشديد أن تفاضل بين سورة وأخرى ، أو توازن بين مقطع ومقطع لـكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل ، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد فى بلاغته وسحر بيانه إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود فى أنغامه وألحانه » .

ثم أشار إلى قول المرحوم سيد قطب[1] الذى يقرر فيه : « فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة ، والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن التفاعيل ، والتقفية التى تغنى عن القوافى » أ . ه

وهنا يلتقط أصحاب اقتراح تلحين القرآن موسيقياً « كلمة بلحون العرب » الواردة فى الحديث فيقولون : ان قصدنا التلحين الموسيقى العربى لا الأجنبى ونحن نقول : هذا أيضا مخالف لمفهوم الحديث .. لأن القرآن ليس غناء حتى يخضع لمقام البياتى وغيره، وليس شعرا حتى يخضع لبحور الشعر كالكامل وغيره . . ولـكن له أوزانه وألحانه الخاصة به الراسخة فى أحكام تجويده بقواعدها المشهورة الثابتة .

وإليكم مناقشة فكرتكم وما يترتب عليها :

١ ـ إذا لحن القرآن موسيقياً فإنه لا يتميز بتأثيره الفطرى فى النفوس والقلوب ، وإنما يعود التأثير فى ذلك الحين إلى الطرب المصطنع .. ومن يدرى .. لعل أحداً بعد ذلك يتدرج بالفكرة فيقترح مصاحبة الآلات الموسيقية للقارئ . . ! !

---

(١) فى كتابه : التصوير الفنى فى القرآن .

٢ – إن هذا التلحين يخرجه عن كونه قرآناً إلى ما يشبه الغناء والنشيد .

٣ – إن الذى يشتغل بالترنيم الموسيقى لا يلتفت إلى معانيه بإدراكه الوجدانى ، ولا يتفهم مقاصده بقلبه .

٤ – مما لا شك فيه أن هذا التلحين لن يراعى فيه مخارج الحروف بأحكامها الراسخة فى قواعد التجويد .. وهذا سيؤدى حتماً إلى التمطيط والترجيع والرعش الصوتى أو تموجه . . وهى أمور لا تجوز شرعا ولا يتفق ذلك مع جلال القرآن وهيبته .

قد يجيب صاحب الفكرة على التعليلات المذكورة بأنه سيراعى مخارج الحروف ولا ينشغل عنها . . وردنا على ذلك : أن السنة منعت ذلك .. وقد مر بنا نص الحديث السابق .. ثم إن الإسلام قد وهبه الله طابعاً يميزه عن غيره فى كثير من مظاهره وعباداته .. فمن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة : وجد اليهود يصومون يوم غاشوراء تكريماً لموسى عليه السلام .. فقال : « نحن أولى بموسى ، وإن عشت للقابل لأصومن التاسع » ومعنى هذا مخالفة اليهود حتى لا نكون على وتيرتهم .

والأمثلة كثيرة .. مثل صوم شهر رمضان ، وملابس الإحرام فى الحج ، واتخاذ الكعبة قبلة ، والأذان .. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتشاور فى شأن الإعلام بالصلاة فاقترحوا اتخاذ الناقوس أو النفخ

فى البوق ، أو إشعال النار .. والنبى صلى الله عليه وسلم يرفض كل ذلك لأن فيه تشبهاً بغير المسلمين .. وأخيرا شرع الله سبحانه وتعالى الأذان بصيغته التى نسمعها كل يوم خمساً .

ثم أقدم لكم مثالا من التأثير الفطرى للقرآن فى النفوس .. وهو ما رواه مسلم فى صحيحه عن جبير بن مطعم – وكان مشركاً – وكان قد ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لفداء الأسرى بعد غزوة بدر قال جبير : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى (المغرب) يقرأ (بالطور) فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه » وفى رواية ثانية يقول : « فلما سمعته قرأ : **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** خلت أن فؤادى قد انصدع » وفى رواية ثالثة يقول : « كاد قلبى أن يطير » .

فالقرآن له أوزانه الخاصة دونها الأوزان المفتعلة .

وهنا يعلق ابن كثير على حديث « جبير بن مطعم » فيقول : « وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر فكان هذا سبب هدايته .. ولهذا كان أحسن القراءات ما كان بخشوع القلب » أ . هـ .

فيا لله للمسلمين وشبابهم الذين لا يجذبهم سماع القرآن إلا إذا كان ملحناً موسيقياً .. وهو القرآن ذاته الذى جذب إليه قلوب من كانوا يعبدون الأصنام .

وأخيرا أقول للذى يقترح هذا الاقتراح : إذا كانت نيتك فى ذلك حباً للقرآن فلا عليك إذا اقتنعت بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم

وآراء الصحابة والعلماء . . لأن النية الحسنة إذا ظهر خطؤها ورجع صاحبها إلى الصواب فسيؤجر على ذلك لأن الرجوع إلى الحق فضيلة .

أما إذا كان قصدك صرف الناس عن هدى القرآن وإشغالهم بالطرب، فسوء نيتك راجع إليك، ولن يسمح لك أحد بتنفيذ ما تريد .

والله تعالى أعلم .

الفصل الثالث

أماكن وأوقات التلاوة

من المعروف أن قراءة القرآن لها فضل كبير ، وأنها مطلوبة فى كل مكان وزمان إلا ما استثنى منها ما دام القارئ طاهرا ، ولكن الله سبحانه وتعالى فضل بعض الأماكن على بعض ، وكذلك الأوقات ، **فأما الأماكن** التى يكون لتلاوة القرآن فيها زيادة فى الفضل والثواب بالقياس على الصلاة . . فهى كالآتى :

(١) المساجد الثلاثة التى أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل الصلاة فيها على غيرها فقد .. روى البخارى ومسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » [١] . والأفضلية بالترتيب : (ا) المسجد الحرام بمكة . (ب) مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة (ج) المسجد الأقصى بالقدس .. فالذى يسعده الله بزيارة هذه البيوت فليكثر فيها من قراءة القرآن .

٢ — يلى هذا الفضل مساجد الله جميعها المنتشرة فى البلاد لقول الله تعالى : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** » [٢] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الصلاة باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة : ٢ / ٧٦ وصحيح مسلم كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة : ٤ / ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) سورة النور الآيتان : ٣٦ ، ٣٧

٣ ـ ويلحق بالمساجد مكان صلاة الشخص فى أى مكان صلى فيه إذا أراد أن يقرأ بعد الصلاة القرآن .

مسألة أولى :

وتحرم القراءة فى أماكن قضاء الحاجة كالمراحيض والخرائب التى يتخذها الناس مباول ، وكذا ما خصص لإلقاء القاذورات وخلافها .

وتحرم القراءة فى أماكن اللهو والفجور كبيوت الدعارة وحانات الخمر .

مسألة ثانية :

قال الإمام النووى (١) : « وأما القراءة فى الحمام فقد اختلف السلف فى كراهيتها فقال جماعة منهم : « لا يكره » وهم إبراهيم النخعى ومالك وهو قول عطاء ، وقال جماعة : « يكره » وهم على بن أبى طالب رضى الله عنه (٢) ، وجماعة من التابعين منهم الشعبى والحسن البصرى ومكحول . . قال الشعبى : تكره القراءة فى ثلاثة مواضع : فى الحمامات ، والحشوش ، وبيوت الرحى وهى تدور . وقال أبو ميسرة : لا يذكر الله إلا فى مكان طيب (٣) أ . هـ .

وإنى أرجح القول بالكراهة لمثل ما قاله أبو ميسرة . ويلحق ببيت الرحى وهى تدور : المصانع والورش وهى تدور أيضا ، وأى مكان يكون فيه لغط خشية التشويش على القارئ فيخلط فيه ما ليس

---

(١) فى كتابه « التبيان فى آداب حملة القرآن » ص ١٥ .
(٢) رواه عن الإمام على رضى الله عنه ابن أبى داود .
(٣) « التبيـــان » المرجع السابق .

منه ، فإذا انتفت علة التشويش فلا كراهة . . وأما قراءة السائر فى الطريق فباحة كصلاة النافلة للراكب .

كما كره النبى صلى الله عليه وسلم القراءة للناعس مخافة الخلط .. فقد روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم « قال إذا نعس فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه »(١).

وأما ما يؤيد القراءة فى الطريق — ماشيا أو راكبا — فقد روى مسلم عن معاوية بن قرة قال : سمعت عبد الله بن مغفل المزنى يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع فى قراءته قال معاوية : لولا أنى أخاف أن يجتمع على الناس لحكيت لكم قراءته » (٢) .

• • •

وأما الأوقات التى يكون للقراءة فيها مزيد فضل فهى :

١ — منها ما هو على مدار اليوم : وهما الفجر والعصر لما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله — وهو أعلم بكم — كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » (٣) فهذان الوقتان تشهدهما الملائكة فنرجو أن يشهدوا قراءتنا .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة بات أمر من نعس فى صلاته : ٢/١٩٠

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب ذكر قراءة النبى صلى الله عليه وسلم سورة الفتح يوم فتح مكة : ٢/١٩٣

(٣) صحيح البخارى كتاب الصلاة باب فضل صلاة العصر : ١/١٤٥، ١٤٦ وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب فضل صلاتى الصبح والعصر : ٢/١١٣

٢ – ومنها ما هى على مدار الأسبوع :

وهى : الإثنين والخميس والجمعة . فأما الإثنين والخميس فلأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخصهما بالصوم فسئل عن ذلك فقال : « أما يوم الإثنين فيوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه ، وأما يوم الخميس فيوم ترفع فيه أعمال العباد ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » وأما يوم الجمعة فلقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة »(١) .

٣ – ومنها ما هو على مدار الشهر : وهى الليالى البيض من كل هلال وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وكذلك أول الهلال ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذه الأيام فيستحب قيام ليلها وإحياؤها بقراءة القرآن الكريم .

٤ – ومنها ما هو على مدار السنة وهى كثيرة : شهر رمضان وفيه العشر الأواخر لإمكان وقوع ليلة القدر فى أى ليلة منها .. وشهر رمضان هو شهر القرآن كما أخبر بذلك المولى عز وجل .. فأولى أن يتلى فيه القرآن ، ومنها العشر الأول من ذى الحجة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر » قالوا ولا الجهاد ؟ . قال : « ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر

---

(١) الحديث رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب الجمعة باب فضل يوم الجمعة : ٦/٣.

بنفسه وماله فلم يرجع بشيء[1] » .

ومنها أول الشهر المحرم ، ويوم عاشوراء منه ، وشهر ربيع الأول وشهر رجب وفيه ليلة السابع والعشرين ، وشهر شعبان .. وذلك لفضل هذه الأيام .

وقراءة القرآن مطلوبة فى كل وقت ـ كما قلت آنفاً ـ باعتبارها ذكرا لله عز وجل .. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل أحواله .. إلا أن الأوقات المذكورة لها مزيد فضل وكرامة عند الله عز وجل يضاعف فيها الحسنات « **وإن لله فى أيام دهركم نفحات فاغمتنوها** » .

والله تعالى أعلم .

• • •

مسألة أولى :

هناك حالات يستحب فيها قراءة القرآن ، وهى حالة خروج روح الميت .. فى تفسير ابن كثير لسورة يس ذكر حديثاً طويلا فى شأن البقرة ويس قال النبي صلى الله عليه وسلم : « . . واقرأوها على موتاكم » . أى سورة يس . . وفى حالات حدوث النوائب وعند الإحساس بضيق الصدر ، وفى حالة الغضب ، والخوف والوحشة .

---

(١) ذكر الإمام العراق فى تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين رواية أخرى عن ابن ماجة عن أبي هريرة بدون زيادة « ولا الجهاد . . . » أما الحديث المذكور فى أعلى الصفحة فهو عن البخارى عن ابن عباس (إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٢١٣) طبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة .

لأن هذه الأحوال يكثر فيها وسوسة الشيطان ، وخير طارد له هو القرآن الكريم .. هذا وقد سئل أحد السلف الصالح وقد كان وحده .. فقيل له : أأنت جالس وحدك ؟ فقال : « جالس وحدى .. ! ! من أراد مؤنسا القرآن يكفيه » .

والله تعالى أعلم .

مسألة ثانية :

وهناك أوقات وحالات ينهى عن القراءة فيها .. مثل وقت خروج الريح ، وإذا كان القارئ حاقناً أو حاقباً (١)، ووقت خطبة الجمعة والعيدين للجالس فى المسجد ، وفى الركوع والسجود .

(١) الحاقن والحاقب : هو من احتبس برازه وبوله .

الفصل الرابع
آداب القارئ وقت القراءة

قال الله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » (١) .

هذا وقد مر بك الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر فى أول الباب الرابع .

وقال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٢) .

وقال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (٣) .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الزمر .
(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر .
(٣) الآية ٩٨ من سورة النحل .
* قد استعنت فى هذا الفصل بكتابى التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى ، وإحياء علوم الدين للامام الغزالى بتصرف .

لقد مر بك آداب المعلم والمتعلم فى حال التعليم وخارجه ظاهره وباطنه ، وهذه الآداب ينطبق شيء منها على القارئ .

ومر بك طرق القراءة وما يراعى فيها من آداب وما يجتنب فيها من محظورات ، وعرفت الأماكن والأوقات التى تستحب فيهما التلاوة والمكروه والمحرم منهما .

والآن نزداد معرفة بالآداب التى تخص من يقرأ كتاب الله فى خلوة أو فى ملأ . . وذلك فيما يأتى :

أولا : أن يستحضر هيبة الله وجلال كلامه فى قلبه حتى يحصل له خشوع ، والخشوع يهيوء للتدبر والفهم ، وهذا يشرح صدره ويجعله مبتهجاً مسروراً .

ثانياً : بعد أن يهىء نفسه بخشوع القلب فعليه أن يستعد بتنظيف الجسد وأول ما ينظفه منه : فمه .. لأنه آلة القراءة فيستعمل فى تنظيفه السواك فإن لم يجد فبالفرشاة ، فإن لم يجد فبالماء والصابون .. ويتجنب أكل ما له رائحة كريهة كالفجل والبصل والسردين . . . الخ وذلك من باب احترام القرآن ، وأن يكون على طهارة كاملة من الحدثين الأصغر والأكبر للرجال والنساء والحيض والنفاس للنساء .. فيتوضأ ويسبغ الوضوء ، وإن كان لديه طيب فليتطيب .

ثالثاً : هيئة الجلوس : فيجلس متوجهاً إلى القبلة إن أمكن ، وعلى هيئة المتواضع ، كجلوسه للصلاة واضعاً كفيه على فخذيه ـــ إن أمكن ـــ ويتجنب الجلوس أمام الصور وكل ما يشغله ويلهيه ، ويختار أنظف الأماكن وأهدأها . وأفضل القراءة ما كان فى الصلاة واقفاً ، وفى

هذا يقول الإمام على كرم الله وجهه : « من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ، وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب » [1] .

تنبيه : حينما نذكر هذه الآداب فليس على وجه الإلزام ولكنه من باب الأفضل والكمال وحينما تنتفى الأعذار .. فمن توفرت له أسباب الراحة وترك هذه الآداب فيكون من باب ترك الأولى ، ومن لم تتوفر له فالضرورات تبيح المحظورات ، فيقرأ على أى وضع قاعداً أو مضطجعاً .. فقد ذكر الإمام النووى عن أبى موسى الأشعرى قال : « إنى أقرأ القرآن فى صلاتى وأقرأ على فراشى » . وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « إنى لأقرأ حزبى وأنا مضطجعة على السرير »[2] وكل هذا مستمد من قوله تعالى : « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » [3] .

---

(١) كلام الإمام على رضى الله عنه ذكره الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين جـ ١

(٢) كلام أبى موسى والسيدة عائشة رضى الله عنهما ذكره الإمام النووى فى كتابه التبيان فى آداب حملة القرآن .

(٣) الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ من سورة آل عمران .

رابعا : بعد أن يراعى ما سبق ويشرع فى القــراءة فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم بأى صيغة واردة فى ذلك فمن صيغها : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ومنها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ويمكن زيادة : « من همزه ونفخه ونفثه » بعد كل منهما ، ثم يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم » ، ولا يتركها إلا فى أول سورة التوبة . فإذا قرأ منها شيئاً ثم توقف وأراد استئناف القراءة فله أن ينطق بالبسملة . . وينبغى له هنا أن يفرغ نفسه من شواغلها حتى يجنب نفسه هواجس الشيطان ، وأن يؤدى لـكل آية حقها فإن كانت آية سجدة سجد ، وإذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ ، فقد روى مسلم عن حذيفة قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع ، عند المـائة ، ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة ، فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ »(١) .

خامساً : أن يلتزم بالأدب واحترام القــرآن فقد يتســاهل بعض الغافلين من القراء ، فيأتون بأعمال لا تليق باحترام القرآن

---

(١) يؤخذ من هذا الحديث أنه يجوز الجمع بين أكثر من سورة فى ركعة واحدة . وتجوز القراءة بغير ترتيب السور ويجوز أن يفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال ، والاستعاذة والتسبيح وذلك فى الصلاة وفى غيرها والصلاة فرضاً أو نفلا إماماً أو مأموماً . وهو مذهب الشافعى وجمهور العلماء سوى أبى حنيفة فقد كره هذا ، وقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم بطولها هذه كانت فى قيام الليل وتهجده ولم تكن فى صلاة ركنية . والحديث فى صحيح مسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل : ٢ / ١٨٦

مثل القهقهة ، واللغط ، والكلام بغير ضرورة خلال القراءة ، والعبث باليد ، والنظر إلى ما يبدد الذهن .: وهذه الأعمال كثير ما لاحظتها على القراء الذين يقرأون فى المآتم .. وبالجملة فعليه أن يصون نفسه وجوارحه أثناء القراءة من أى أعمال تخل بمقام القرآن وتكريمه ، وليقتد بما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه »[1] .

سادساً : أن يقرأ على الترتيب فلا يلتقط من كل سورة آية أو آيتين يقرأ بهما كما يفعل كثير من قراء اليوم فى المآتم . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حينما سمعه ، فقد ذكر ابن كثير[2] فى فضائل القرآن رواية عن أبى عبيد : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقرأ من كل سورة آية . . فقال : سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة » . فقال بلال : « أخلط الطيب بالطيب » فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ السورة على وجهها » وفى رواية أخرى : « إذا قرأت فانفذها » . وبلال رضى الله عنه كان يقصد جمع آيات الرحمة وآيات الجنة فى مرة واحدة فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرأه على تأليف الله » .

سابعاً : إذا[3] دخل على القارئ من فيه فضيلة من علم ، أو

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم . . . الخ » أنظر صحيح البخارى كتاب التفسير ـ سورة البقرة ـ : ٦/٣٥ .

(٢) ذكره الإمام الزركشى فى البرهان جـ ١ عن ابن كثير .

(٣) أخذت هذه الفقرة من التبيان فى آداب حملة القرآن بتصرف (باب آداب القرآن) .

صلاح أو شرف ، أو أمارة ورياسة أو ولاية كالأب ، وكذلك إذا دخل عليه كبير السن مع صيانته وعفافه فلا بأس من القيام لأحد هؤلاء على سبيل الاحترام والإكرام لا للرياء والإعظام .

وكذلك إذا كان يقرأ ماشياً ومر على أحد أو جماعة فيستحب له أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ، ولو كان يقرأ جالساً ، ومر عليه غيره مسلماً عليه فله أيضاً أن يقطع القراءة ويرد عليه السلام ، ثم يستأنف القراءة بالتعوذ والبسملة ، وإذا عطس جاز له قطع القراءة وحمد الله ، أو عطس غيره فحمد الله جاز له أن يشمته بقوله : يرحمك الله .. هذا كله فى قراءته خارج الصلاة ، وكذلك إذا سمع المؤذن فيقطع القراء ويردد ما يقول المؤذن أو المقيم للصلاة ، وإذا طلب منه حاجة وهو يقرأ فله أن يجيب السائل بالإشارة إذا علم عدم حصول إنكسار فى نفس السائل .. أما إذا علم حصول الإنكسار فيقطع ويلبى حاجته ثم يستأنف القراءة بالتعوذ والبسملة كما سبق .

ولو عرض له ريح فيقطع قراءته حتى يتكامل خروجه . . يقول الإمام النووى ثم يستأنف القراءة ،[1] وإذا أحس بالتثاؤب سكت حتى ينتهى ولا يقرأ وهو يتثاءب . .

وإذا عرض له النعاس ختم قراءته حتى لا يلقى الشيطان فى أمنيته فيدخل فيه ما ليس منه .

ثامنا : فإذا انتهى من القراءة دعا الله بما يشاء بما ليس فيه ظلم ولا قطيعة رحم ، ثم يطبقه ولا يتركه مفتوحاً فإن السلف من

---

(١) وأقول : والأولى أن يتوضأ قبل العودة إلى القراءة أو يتيمم .

الصحابة كرهوا ذلك ، وأن يحفظه فى مكان أمين طاهر بعيد عن عبث الصبيان ، وأن يضعه بيده اليمنى ويأخذه بها كذلك ، وعند الأخذ أن يستقبله بوجهه ولا يأخذه من وراء ظهره ، وإن كان لديه طيب فيطيبه بما ليس فيه دهن حتى لا يتشرب ورقه من دهن الطيب ، ولا يتوسده ، وإذا بلى المصحف فإن لم يمكنه الاحتفاظ به فلا يضعه فى شق من حائط ولا فى حفرة من الأرض ، والأحوط له أن يحرقه ، وأن لا يترك المصحف مهملا دون النظر فيه مدة طويلة .. وكان أبو موسى الأشعرى يقول :(١) « إنى لأستحى ألا أنظر كل يوم فى عهد ربى » وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعطو أعينكم حظها من العبادة » قالوا يا رسول الله وما حظهما من العبادة ؟ قال : « النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار من عجائبه » .

والله تعالى أعلم .

مسألة أولى :

هل الأفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر قلب ؟ وهذه المسألة فيها — كما قام الإمام الزركشى — أقوال ثلاثة :

أحدها : أنها من المصحف أفضل لأن النظر فيه عبادة فتجتمع القراءة والنظر ، وبهذا قال الإمام الغزالى(٢) فذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرأون فى المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم

---

(١) ذكر القرطبى فى مقدمة تفسير قول أبى موسى ورواية أبى سعيد الخدرى .
(٢) فى كتابه إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٢٥١ طبعة مصطفى الحلبى .

ينظروا فى المصحف ، وذكر ابن كثير[1] عن أبى عبيد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم : « فضل القرآن نظراً على من قرأ ظهراً كفضل الفريضة على النافلة » .

وذكر الزركشي فى البرهان عن أبى داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : « النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر فى وجه الوالدين عبادة ، والنظر فى المصحف عبادة » .

والقول الثانى : أن القراءة عن ظهر قلب هى الأفضل ، لأنها تعين على التدبر وهو المطلوب للقرآن لقوله تعالى : « **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** »[2] وإلى هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام[3] .

والقول الثالث : وهو يجمع بين القولين واختاره الإمام النووى[4] فقال : « ولم أر فيه خلافاً ولو قيل : إنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فيختار القراءة فى المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره فى حالتى القراءة فى المصحف وعن ظهر القلب ، ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ فى المصحف لكان هذا قولا حسناً ، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل » . والله تعالى أعلم .

---

(١) فى كتابه فضائل القرآن تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا .
(٢) الآية رقم ٢٩ من سورة ص .
(٣) ورد رأى الشيخ عز الدين فى البرهان وذكرته هنا بتصرف .
(٤) التبيان فى آداب حملة القرآن .

مسألة ثانية :

فضل قراءة الجماعة منهم القارئ ومنهم السامع وفضل من دعاهم إلى ذلك

قال الإمام النووى : واعلم أن قراءة الجماعة مستحبة بالدلائل الظاهرة فقد روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »[١] .

وروى الترمذى والنسائى عن معاوية رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال « ما يجلسكم ؟ » قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده لما هدانا للاسلام ومن علينا به فقال : «أتانى جبريل — صلى الله عليه وسلم — فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة »[٢] .

وأما فضيلة من يدعوهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدال على الخير كفاعله » وقوله : « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » .

وطريقة قراءتهم هو أن يقرأ بعضهم عشراً أو جزءا ، ثم يسكت ، ويقرأ البعض الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ البعض الثالث . . وهكذا . . وهذا حسن . . وقد سئل مالك رضى الله عنه فقال : « لا بأس به » . والله تعالى أعلم .

---

(١) أنظر صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٨ / ٧٢

(٢) أنظر المرجع السابق نفس الباب والصفحة .

مسألة ثالثة :

فى حكم اقتران التلاوة بالقيام بأعمال دنيوية

هل يجوز للشخص الذى يحفظ القرآن عن ظهر قلب أن يقرأه وهو يقوم بعمله الدنيوى كالحياكة والنجارة والتجارة . . . الخ ؟

نقول وبالله التوفيق : إن قراءة القرآن يطلب لها التدبر والخشوع ، وعمله الذى يقوم به يحتاج أيضاً إلى مراعاة أصوله وإتقانه ، فكيف يتسنى له الجمع بينهما مع إتقان عمله وتدبر قراءته . ؟ فاذا أمكنه الجمع بينهما بشروطها جاز له ذلك ، أما إذا كان يخشى منه إدخال شئ ليس من القرآن فى قراءته ، فلا يقرأ ، وإذا شابه شئ من خوف الاتهام بالرياء فلا يقرأ، وكذلك إذا كان فى عمله شئ من الخطر عليه . أما إذا أمن الخطر والرياء وعدم إدخال ما ليس من القرآن فيه فيجوز له القراءة أثناء العمل وذلك قياساً على قراءة الماشى فى الطريق .

والله تعالى أعلم

مسألة رابعة :

درج العوام على أن يقرأوا القرآن على المقابر أو فى البيوت ويقولون للقارئ « اهد » قراءتك لروح فلان المتوفى .

والذى يستحق التنبيه هنا أن كلمة إهداء ثواب القراءة لا يصح التعبير بها لأن الهدية والهبة لا تجوز إلا فى الأشياء التى تملك كالأعيان والمنافع ، وثواب القراءة ليس مما يقع عليه التملك ، لأنه فضل وكرم من الله ، وهذا أمر معلق بين الرفض والقبول من الله فإن شاء قبله وإن لم يشأ لم يقبله .. ثم إن هذا من البدع المستحدثة التى ابتدعها الناس

ولم تكن فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة من بعده .: ولـكن الذى أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم هو زيارة القبور ، والدعاء للأموات .

ففى صحيح مسلم عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »[1] .

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : إنهما ليعذبان . . وما يعذبان من كبير . . أما أحدهما فكان لا يستتر — وفى رواية لا يستبرئ — من بوله وأما الآخر فكان يسعى بالنميمة » . قال : ثم أخـذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحـد منهما على قبر ، ثم قال : « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » وفى رواية : « إلى أن ييبسا »[2] والأحاديث الواردة فى باب التصدق على الميت كلها متفقة على أن جميع الصدقات يصل ثوابها إلى الميت ، فيما عدا قراءة القرآن فهى التى اختلفوا فيها .

وفى ذلك يقول الإمام النووى : « المشهور فى مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصل ثوابها . . وقال جماعة من أصحابنا ، يصل ثوابها . . وبه قال : أحمد بن حنبل »[3] أ . هـ .

وإنى أستنبط سبب الخلاف فى قراءة القرآن من الروايات الواردة فى باب الصدقات ، وهو أن جميع من سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ينفع الميت إنما سألوه عن الصدقة والصوم والحج »

---

(١) صحيح مسلم كتـاب الجنائز باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فى زيارة قبر أمه : ٣ / ٦٥

(٢) أى الجريدتان . والحديث فى صحيح البخارى كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول : ٢ / ١٢٤

(٣) الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم باب « وصول ثواب الصدقة للميت »

ولم يسألوه عن قراءة القرآن للميت . . وكل الذى ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى شـأن البقرة ويس قال فى آخره : « . . . واقرأوها على موتاكم »[1] — يعنى يس — وفى رواية أخرى عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال[2] « ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون الله عليه » .

وذكر ابن كثير فقال : « ولهذا قال بعض العلماء : من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله . . وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة ، وليس عليه بعد خروج الروح » أ . هـ .

ومن هذا التحقيق نعلم أن قراءة القرآن على الأموات وقت خروج الروح مما ينفع الميت بالثواب . . وقد قال فضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى : « ولـكن لا يقال إهداء ، بل يقال توسل بالقرآن الـكريم إلى الله الرحمن الرحيم ، وكذلك يجوز التوسل بالقرآن للحى » .

والله تعالى أعلم .

* * *

(١) عن ابن كثير فى تفسيره لسورة يس ونقل هذه الرواية عن الإمام أحمد فى مسنده ، والنسائى فى (اليوم والليلة) وأبى داود فى (كتاب الجنائز) ، وابن ماجة (كتاب الجنائز) .

(٢) عن القرطبى فى تفسيره لسورة يس ولـكنه قال عن أم الدرداء وصححه فى هامشه عن أبى الدرداء .

الفصل الخامس
سجدات التلاوة وحكمها ومواضعها

لقد عرفنا أن من أدب القارىء أن يؤدى لكل آية حقها .. فإن مر بآية سجدة سجد . . وهنا نبين مواضع السجدات حيث كانت فى آيات وسور القرآن الكريم . . فنقول وعلى الله قصد السبيل :

أولا : تطلب فى أربعة عشر موضعا :

١ ــ سورة الأعراف . . آخر آية منها وهى قوله تعالى :

« إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

٢ ــ سورة الرعد الآية ١٥ وهى قوله تعالى :

« ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » .

٣ ــ سورة النحل الآية ٤٩ وهى قوله تعالى :

« ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » .

٤ ــ سورة الإسراء الآية ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ وهى قوله تعالى :

« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً » .

والسجود بعد قوله تعالى : « خشوعاً » :

٥ — سورة مريم الآية ٥٨ وهى قوله تعالى :

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً »

٦ ، ٧ — سورة الحج وفيها سجدتان الأولى فى الآية ١٨ وهى قوله تعالى :

« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » .

والسجدة الثانية فى الآية ٧٧ وهى قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »** .

٨ — سورة الفرقان الآية ٦٠ وهى قوله تعالى :

« وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً » .

٩ — سورة النمل الآية ٢٥ ، ٢٦ وهى قوله تعالى :

« ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم » .

١٠ — سورة السجدة الآية ١٥ وهى قوله تعالى :

« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون » .

١١ — سورة فصلت الآية ٣٧ وهى قوله تعالى :

« ومن آياته الليل والنهـــار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ».

١٢ — سورة النجم آخر آية منها وهى قوله تعالى :

« فاسجدوا لله واعبدوا »

١٣ — سورة الانشقاق الآية ٢١ وهى قوله تعالى :

« وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون »

١٤ — سورة العلق آخر آية منها وهى قوله تعالى :

« كلا لا تطعه واسجد واقترب »

ويلحق بسجدات التلاوة سجدة الشكر وهى سجدة واحدة فى القرآن كله من سورة (ص) الآية ٢٤ وهى قوله تعالى :

« وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخـــر راكعاً وأناب »

ثانيا : دليل مشروعيتها :

من القرآن قوله تعالى : **« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون »**[1] هذا فى

---

(١) سورة السجدة آية : ١٥

شأن المؤمنين .. أما فى شأن الكافرين فقال تعالى : « **وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** »[1]

ومن السنة : فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله .. أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار »[2] .

وقد أجمعت الأمة على أنها مشروعة عند قراءة آيات مخصوصة من القرآن الكريم .

ثالثاً : حكمها :

أجمع العلماء على أنها سنة ما عدا أبو حنيفة فإنه قال : إنها واجبة .. والذين قالوا بسنيتها أن تاركها لا يأثم ، أما أبوحنيفة فقال : يأثم تاركها والإثم وعدمه بالنسبة للقارئ والسامع .

رابعاً : شروطها : اتفقت المذاهب على أن شروطها هو ما يشترط للصلاة كالطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر . والأنجاس للملابس والأبدان والأمكنة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة . والإسلام . والبلوغ ، والعقل .. واختلفوا فى الشروط الأخرى .. **فشرط القصد** لم يقل به الشافعية والأحناف للمستمع فيسجد ولو لم يقصد السماع .

وشرط النية لم يقل به الأحناف وقال به الحنابلة .. أما المالكية والشافعية فعدوها ركناً من أركانها إذا كانت فى غير الصلاة .. هذا

---

(١) سورة الانشقاق آية : ٢١

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب سجود التلاوة : ٢/٨٨

ويزاد فى المستمع ثلاثة شروط .. **أحدها** : أن يصلح القارئ للامامة له . وذلك بأن يكون ذكراً مسلماً عاقلا بالغاً متوضئاً .. فلو سمعها من امرأة أو صبى أو مجنون أو كافر أو محدث أو جماد كالمذياع أو من متحدث فى هاتف (تليفون) فلا يسجد لذلك كله ، أما المرأة فتسجد لسماعها الرجل بشروطه وإذا لم يؤد سجودها إلى فتنة كأن تكون بحضرة رجال غير محارم لها .

ثانيها : أن تكون القراءة مقصودة . . فلو سمعها من ساه أو نائم يحلم أو من واعظ يتحدث فى درس ليستشهد بها ولم يسجد فلا يسجد المستمع لذلك كله .

ثالثها : أن يكون المستمع قاصداً السماع فلو كان ماشياً فى طريق أو فى شغله وسمع قارئاً يقرأ بآية سجدة فلا يسجد المستمع لعدم قصده السماع . . وهذا الحكم الأخير عند المالكية والحنابلة .

خامسا : أسبابها :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة علي أن لها سببين .. هما : التلاوة والسماع .. أما الأحناف فزادوا الاقتداء . . فعندهم أن القارئ إذا لم يسجد فليس على المستمع سجود ، والشافعية عندهم وجه فى ذلك .. وإن كان فى أصل المذهب : السجود بغير اقتداء .

سادسا : أركانها وسننها :

عند المالكية والحنفية : لها ركن واحد وهو وضع الجبهة على الأرض ، أو الإيماء من المريض والمسافر الذى لا يستطيع السجود لشدة المرض والمسافر كأن يكون راكباً دابة أو سيارة . . . . الخ .

أما المسافر على قدميه فيسجد على الأرض إذا لم يمنعه مانع من شوك أو وحل .. ولها سنتان (عندهم) هما تكبيرة وضع الجبهة على الأرض أو الإيماءة ، وتكبيرة الرفع منها، وليس لها تشهد أو سلام .

عند الحنابلة : لها ثلاثة أركان : السجود والرفع منه والتسليمة الأولى .. ولها سنتان وهما التكبيرة وضع الجبهة على الأرض وتكبيرة الرفع وليس لها تشهد .

عند الشافعية : فهم يفصلون فى الصلاة أو فى غيرها .

فاذا كانت فى الصلاة فلها ركنان .. الأول : النية بالقلب من غير تلفظ بها ، فإن تلفظ بطلت صلاته والثانى : وضع الجبهة على الأرض . وإذا كان فى غير الصلاة فيكون لها خمسة أركان :

١ ــ النية ومحلها القلب ٢ ــ تكبيرة الإحرام ويسن رفع اليدين عندها ٣ ــ وضع الجبهة على الأرض ، ويسن له التكبير ، كما يسن التكبير عند الرفع من السجود ٤ ــ الجلوس بعد السجدة ٥ ــ السلام والدعاء سنة فى جميع المذاهب .

سابعاً : ما يقال فيها : لقد ورد فيها دعاء مخصوص وهو : « اللهم اكتب لى بها عندك أجراً ، واجعلها لى عندك ذخراً ، وضع عنى بها وزراً ، واقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود صلى الله عليه وسلم » .

وذلك بعد التسبيح الوارد فى سجود الصلاة « سبحان ربى الأعلى ثلاثاً » .

هذا ومن أراد الزيادة فليقل : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته تبارك الله أحسن الخالقين » ويقول : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » .

أما من قرأ أو سمع آية السجدة ولم يكن متوضئاً فلا يسجد .. وله أن يقول : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

هذا وقد ذكرت ما ورد فيها من دعاء وتسبيح لينتفع به من وفقه الله وأعانه على طاعته ، وكان يصلى منفرداً .. أما إذا كان إماماً فليعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهى التخفيف رحمة بالضعيف والمريض ، إلا إذا رضى المأمومون جميعهم بالتطويل .

ثامناً : أحوالها : إعلم أن لسجود التلاوة أحوالا أذكرها باختصار :

منها : إذا كانت صلاة الجماعة .. فإن كانت جهرية وقرأ بها الإمام فسجد فعلى المأموم متابعته ،وإن كانت سرية وقرأ بها الإمام فليس على المأموم متابعته ولو سجد الإمام ، لأن المأموم غير عالم بقراءته ، وإذا قرأها المأموم فى الصلاة السرية فلا يسجد ، فإن سجد بطلت صلاته لأنه — فى هذه الحالة — يأتى بفعل لم يأت به إمامه (وهو مطالب باتباع الإمام) ، وكذلك إذا سمعها من غير الإمام .

ومنها : إذا كانت الصلاة لمنفرد : فإن كانت جهرية وقرأ بها وسمعها غير مصل فعلى السامع السجود بتفصيل شرط القصد والاقتداء السابق ذكره فى الشروط . أما إذا سمع المصلى قراءة غير المصلى فلا يسجد المصلى ولو سجد القارئ . . وهذه الحالة مستثناة من شرط الاقتداء والسماع .

ومنها : إذا كانت القراءة فى غير الصلاة وكان القارئ محدثاً

والمستمع متوضئاً فعند الأحناف يجب عليه السجود إذا كان أهلاً لوجوب الصلاة عليه بأن كان بالغاً عاقلا ، وعند الحنابلة والمالكية لا يسجد السامع المتوضئ لاستماع القارئ غير المتوضئ ، لأن القارئ لا يصح أن يكون إماماً له ، وعند الشافعية لا يسجد السامع — فى هذه الحالة — لأن قراءة القارئ مكروهة .

ومنها : إذا كرر القارئ آية السجدة فعند الحنابلة يسن له تكرار السجود ، وعند المالكية يسجد عند قراءتها فقط فلا يكرر ، وعند الحنفية يسجد سجوداً واحداً فان اختلف المجلس كرر السجود وهذا الحكم يسرى على كل من القارئ والسامع .

وإنى أختار مذهب المالكية وخاصة إذا كانت القراءة للتعليم .

أما إذا كانت القراءة لمجرد التلاوة أو للتعبد فأختار تكرار السجود كما قال الحنابلة .

ومنها : يستحب لمن قرأها جالساً أن يأتى بها من وقوف ، وإذا قرأها الخطيب على المنبر فهو مخير .. فإن نزل وسجد فعلى السامعين السجود .. وهذا ما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قرأها مرة على المنبر فنزل وسجد ، وفى مرة أخرى تركها كما ورد فى صحيح البخارى .

تاسعاً : الخلاف فى مواضعها بين المذاهب : علمنا أن لآيات السجدة أربعة عشر موضعاً .. وهذه المواضع فيها آيات اختلف الأئمة فى السجود لها .. وسأذكر هذا الخلاف :

١ — التى فى آخر سورة الحج وهى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ... الخ** » المالكية والأحناف لم يعدوها آية سجدة .

٢ — آية سورة النجم وهى قوله تعالى : « **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا . . . الخ** » آية سورة الإنشقاق وهى قوله تعالى : « **وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** » آية سورة العلق وهى قوله تعالى : «**كلا لا تطعه واسجد واقترب** »

هذه الآيات الثلاث لم يعدها المالكية آيات سجدة .

٣ — آية سورة (ص) وهى قوله تعالى : « **وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب** » الآيتان ٢٤ ، ٢٥

المالكية قالوا : إنها آية سجدة والسجود فيها عند قوله تعالى : « **وأناب** »

الحنفية قالوا : إنها آية سجدة والسجود فيها عند قوله تعالى : « **وحسن مئاب** »

ومن هنا نعلم إجمالا : أن عدد الآيات المسماة بآيات سجدة خمس عشرة آية : **الشافعية والحنابلة** عدوا منها أربع عشرة آية وتركوا آية سورة (ص) .

المالكية : عدوا منها إحدى عشرة آية وتركوا السجدة التى فى آخر الحج والنجم والانشقاق والعلق .

الأحناف : عدوا منها أربع عشرة آية تركوا السجدة التى فى آخر الحج وعدوا آية سورة (ص) .

والله تعالى أعلم .

الفصل السادس

الرقية بالقرآن والحكمة منها

قال الله تعالى : « **يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** »(١) وقال تعالى : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** »(٢) .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » (٣) .

وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضاً أو أتى به قال : أذهب البأس ، رب الناس اشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك لا يغادر سقما »(٤) .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم . قال : بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك(٥) .

من هذه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعلم أن الرقية جائزة بل ومستحبة . . ومعنى الرقية :

---

(١) الآية ٥٧ من سورة يونس .

(٢) الآية ٨٢ من سورة الإسراء .

(٣) صحيح البخارى كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء : ١٥٨/٧

(٤) صحيح البخارى كتاب الطب باب دعاء العائد للمريض : ١٥٧/٧

(٥) صحيح مسلم كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى : ١٣/٧

طلب الشفاء من الله سبحانه وتعالى للمريض سواء فى نفسه أو يرقيه غيره ، وقد اشتملت هذه الأحاديث على كلام طيب فيه تقرب إلى الله بالدعاء والذكر وتلاوة القــرآن . . وهذا كلام كله خـــير ونفع للراق والمرق . . هذا بدعائه وقراءته وذاك بسماعه للدعاء والقراءة . وليس فيها شىء من همهمة الدجالين غير المفهومة ، ولا تعاويذ السحرة ورموزهم الغامضة ، ولا طنين الكهان وسجعهم .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها : سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بشىء » . قالوا يارسول الله فإنهم يحدثون أحيانا الشىء يكون حقاً . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة »[1] .

وهنا يشرح الإمام النــووى الكهانة وما كان عليه العرب فى الجاهلية فيقول رحمه الله : « كانت الكهانة فى العرب ثلاثة أضرب :

أحدها : يكون للانسان ولى من الجن يخبره بما يسترقه بالسمع من السماء .. وهذا القسم بطل من حيث بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم » وكلام النووى هنا يشير إلى ما ورد عن الجن فى القرآن فى الســورة المسماة باسمهم حيث يقول الله تعالى :[2] « **وأنا لمســنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبــاً . وأنا كنا نقعد منها مقاعــد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصــداً** » ومعنى هذا أنهم كانوا قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون إلى السماء

---

(١) صحيح مسلم كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان : ٧/٣٦

(٢) سورة الجن ، الآيتان : ٨ ، ٩

فكان الله — بقدرته — يسلط الشهب عليهم فتحرقهم وتصدهم .

ثانيها : أن يخبره بما يطرأ أو يكون فى أقطار الأرض ، وما خفى عنه مما قرب أو بعد .. وهذا لا يبعد وجوده » .

ثالثها : المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب .. ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها .. وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم ، وأسباب معتادة ، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة . وقد كذبهم جميعا الشرع ، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم » .

ولعل سائلا يقول : ما ذكرت من الأحاديث ليس فيها إشارة إلى الرقية بالقرآن وإنما هى فى الرقية بصفة عامة . . ؟

نقول : قد ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم ما يجيب على سؤاله :

روى البخارى عن أبى سعيد أن رهطاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا فى سفرة سفروها حتى نزلوا بحى من أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبوا فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء . فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شىء . فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فهل عند أحد منكم شىء ؟ فقال بعضهم : نعم والله إنى لراق .. ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا . فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق فجعل يتفل ويقرأ : الحمد لله رب العالمين حتى كأنما نشط من عقال .. فانطلق يمشى ما به قلبه قال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه .. قال بعضهم : اقسموا .. فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر

ماذا يأمرنا .. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له .. قال : وما يدريك أنها رقية .. أصبتم اقسموا واضربوا لى معكم بسهم »[1].

وفى مسلم : عن أبى سعيد الخدرى نفس الرواية إلا أنه قال : « والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب »[2] : وهنا يقول الإمام النووى فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « اقسموا واضربوا لى معكم بسهم » إنما قال النبي ذلك تطييباً لقلوبهم . . والحديث كله فوائد فليتأمله أولو الألباب .

وأما طريقة الرقية فيرشدنا إليها النبي صلى الله عليه وسلم فى فى موطأ مالك عن عثمان بن أبى العاص أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال عثمان — وبى وجع قد كاد يهلكنى قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امسحه بيمينك سبع مرات وقل : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » قال : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بى فلم أزل آمراً بها أهلى وغيرهم[3] .

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث[4] فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها »[5] .

ويقول الإمام السيوطى[6] : أن يجمع الراقى لنفسه أو لغيره

(١) صحيح فى كتاب الطب باب النفث فى الرقية : ٧/١٧٣ والرهط : الجماعة . والجعل : الأجر

(٢) صحيح مسلم كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن : ٧/١٩، ٢٠

(٣) أنظر موطأ مالك كتاب الجامع باب التعوذ والرقية من المرض ٦٧٣

(٤) ينفث ينفخ بفمه فيخرج النفس مشبعا بريقه .

(٥) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن — المعوذات : ٦/٢٣٣

(٦) فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن .

يديه أمام فـه ويقرأ فيها سور المعوذات ــ قل هو الله أحد ــ وقل أعوذ برب الفلق ــ وقل أعوذ برب الناس ــ وبعد أن ينتهي من القراءة ينفث بريق خفيف ثم يمسح موضع الألم . ويدعو بالدعاء الذى أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق .

ولعل أحداً يقول : إن هذه دعوة لانصراف الناس عن الطب فى التداوى ، ونحن فى عصر تقدم فيه الطب ، وما دخل الرقية فى أمراض الـكبد والكلى والمعدة والقلب والجراحة . . . الخ ؟

وأقول ليس صرفاً عن الأخذ بأسباب الطب ، فإن كلا من التداوى بالأدوية والرقية واجب حتما ، وقد مر بنا حديث البخارى : « ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء » والشفاء ليس قاصراً على الطب وحده ولا على الرقية وحدها ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم وجه الأمة إلى الأخذ بالأدوية والجراحة ، وذلك فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشفاء فى ثلاثة : فى شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار ، وأنهى أمتى عن الكى » .

فأنت ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر أسباب العلاج وأدواته وأول ما يذكر « مشرط » الجراحة ويليه « شربة العسل » ونجده صلى الله عليه وسلم يذكر الـكى بالنــار لكنه قرنه بالنهى والتحذير لخطورته .

ولعل علماء المسلمين هم أول العلماء الذين وضعوا أسس الطب الحديث وأدواته ، وذلك قبل أن يعرف الغرب والشرق أسس الطب الحديث .

فإذا كنا نذكر الرقية بالقرآن فإنما نذكرها على أنها نوع آخر

من طرق العلاج والرقية بالقرآن كما قلت سابقاً فيها : ذكر الله بتلاوة آياته ودعاء ينفع الداعي والمدعو له . . وذلك خير من الشعوذة والسحر والزار . . تلك الأمور التي أنكرها الإسلام وجعلها من الكبائر .

وليت أطباءنا وهم يباشرون المرضى بالأدوية أو الجراحة أو الأشعة . . . يستعينون بالدعاء الذي ورد في الرقية وبقراءة الآيات الواردة أيضاً وهي : الفاتحة ، وقل هو الله أحد ، والمعوذات ، وهم طاهرون .

وأخيراً نقول إن المرض والشفاء من الله . . فليس كل طبيب يتم على يديه الشفاء ، وليس كل راق كذلك . . ولهذا قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم :

« **وإذا مرضت فهو يشفين** » والمهم هو الأخــذ بالأسباب والسعي إليها .

والله تعالى أعلم .

الباب الخامس

كيف نستمع إلى القرآن الكريم

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فضل استماع القرآن

الفصل الثانى : آداب المستمع

ويليه ثلاث مسائل :

الفصل الأول
فضل استماع القرآن الكريم

قال الله تعالى : فى سورة الأنفال الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ :

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

وقال تعالى فى سورة الإسراء الآيتان : ١٠٧ ، ١٠٨

« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً »

وقال تعالى فى سورة الأعراف الآية : ٢٠٤ من آخر السورة :

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

ومما ورد فى تفسير ابن كثير عن الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة »(١) وهنا يقول الإمام الغزالى رحمه الله :

---

(١) قال ابن كثير : الحديث تفرد به أحمد فى مسنده جـ ٢ ص ٣٤٦ . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٦٢ « رواه أحمد وفيه عباد بن ميسرة ضعفه أحمد وغيره ، وضعفه ابن معين فى رواية وصححه فى أخرى . ووثقه ابن حبان » . لكننا نأخذ بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال .

« ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكاً له فى الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع » . وبعد

فهذه المقدمة من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة تدل على أن رحمة الله تظل القارئين والسامعين .. ففضل الاستماع إلى كتاب الله كبير وشأنه عظيم ، فطوبى لمن استمع وأطاع ، وويل لمن استمع وعصى ، فإن الاستماع مع العصيان والإصرار عليه من أفدح الذنوب وأبغضها . . والآية الكريمة : « **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » قال بعض المفسرين إنها خاصة بقراءة الإمام فى الصلاة ، وبعضهم توسع فقال : إنها تشمل القراءة فى الصلاة وخطب الجمعة والعيدين ، وبعضهم قال : إنها عامة فى كل الأحوال وبه قال ابن جرير والطبرى والقرطبي فقال الطبرى « ويمكن أن يعم الأمر الصلاة وغيرها » وقال القرطبي : « والصحيح القول بالعموم » أ . هـ .

ولكنى أفضل هذا العموم بين الاستماع إلى القراءة فى الصلاة وغيرها ففى الصلاة ورد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصوصها عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا » ولذلك اتفق المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة على كراهة قراءة المأموم مع إمامه فى الصلاة الجهرية .. وأما القراءة مع الإمام فى السرية فمنهم من قال بالكراهة ومنهم من جعلها مندوبة أو مستحبة . والحنفية هم الذين قالوا بكراهة القراءة من المأموم فى الصلاة سرية أو جهرية .. وأما فى غير الصلاة فالأمر للسماع ليس على الوجوب بل هو للندب ففى سجدات التلاوة اشترط بعض الفقهاء فى السامع

قصد الاستماع حتى يسن له السجود أولا . فلو كان الأمر للوجوب لكان المستمع ملزماً بسنية السجود سواء قصد أم لم يقصد .. وهنا نجد القراءة فى غير الصلاة دائما جهرية إلا فيما ندر .

أما الصلاة فهى موزعة بين الجهرية والسرية وإذا كان الأمر للوجوب فى غير الصلاة لأثم كل من يسمع القرآن ولم ينصت له . . وهذا فيه حرج شديد وضيق على الناس وخاصة فى عصر مكبرات الصوت .

ومما يدل على أن الأمر للندب فى غير الصلاة ما أورده ابن جرير الطبرى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : « رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح يتحدثان والقاص يقص فقلت ألا تسمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلى ثم أقبلا على حديثهما ، قال فأعدت : فنظرا إلى وأقبلا على حديثهما قال : فأعدت الثالثة قال : فنظرا إلى فقالا : إنما ذلك فى الصلاة : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ بعد هذا التوضيح الفقهى للآية نزيد توضيحا آخر وهو أن الله الحكيم العليم لم يقتصر على الأمر بالاستماع .. بل أضاف معه الإنصات لأن الاستماع يكون بالأذن فقط .. أما الإنصات فبالقلب والعقل مع الأذن .. إذن ليس بين الكلمتين ترادف لغوى ولكن بينهما عموم وخصوص .. فالإنصات خاص بالفهم والتعقل والاستماع عام ، بدليل أن الشخص يسمع كل لغط وضجيج ولكنه لا يستطيع الفهم والتمييز بين ما يصدر عن كل الأصوات مجتمعة .

إذن (**فاستمعوا له وأنصتوا**) متغايران فى المراد وخاصة أن العطف بالواو يفيد التغاير فى قاعدته الأصلية المشهورة .

وإذا كان الأمر كذلك من الأهمية فليكن استماع القرآن حبيباً لآذاننا رفيقاً لعقولنا قريباً لقلوبنا .. وكيف لا يكون ذلك .. ونحن البشر إذا تكلم زعيم الدولة استمع الناس وأنصتوا مع أنه بشر مخلوق مثلنا .. فما بالنا بكلام خالق الخلق ومالك الملك ، ذى الرحمة والجبروت وكيف لا يكون ذلك . . ونحن أبناء آدم لم نكن المستمعين فقط بل يستمع معنا الملائكة والجن . . فقد مر بنا من قبل أن الملائكة نزلت لتسمع قراءة « أسيد بن حضير » أما الجن فقد أخبرنا عنهم القرآن فقال : « **قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً. وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً** » . وقال جل شأنه : « **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** »[1] .

ونحن إذا استمعنا للقرآن ، فليكن استماعنا له على أنه كلام الله سواء صدر عن قارئ حسن الصوت أو قبيحه ، قويه أو ضعيفه .. فالمؤمن يتدبر ، ولا يهتم بما يرنم من نغمات الصوت الجميل .

والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) سورة الاحقاف ، الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

الفصل الثانى

آداب المستمع للقرآن الكريم

لقد مرت بنا آداب القارئ . . وهو والسامع شريكان فى الفضل والآداب . . إلا أن القارئ لانشغاله بنطق الآيات ومخارج الحروف وحرصه على النطق الصحيح وخوفه من الخطأ وخاصة إذا كانت قراءته فى وسط جمع من الناس ، فله آدابه . .

فالقارئ آلته اللسان، واللسان يعبر عما فى القلب والعقل .. ومعنى هذا أن قلبه يسبق لسانه .. وأما المستمع فآلته الأذن التى تصب فى القلب والعقل فأذنه تسبق قلبه فلهذا الاعتبار له آدابه الخاصة به حصرها الإمام الغزالى فى عشرة آداب هى : ١ — فهم أصل الكلام ٢ — التعظيم ٣ — حضور القلب ٤ — التدبر ٥ — التفهم ٦ — التخلى عن موانع الفهم ٧ — التخصص ٨ — التأثر ٩ — الترقى ١٠ — التبرى وإنى سأذكر كلا منها بتصرف واختصار[١] :

أولا — فهم أصل الكلام : وهو فهم لعظمته وعلوه ، وفضل الله ولطفه بخلقه فى تنزله فى إيصال معانى كلامه — الذى هو صفة

---

(١) هذه الآداب العشرة ذكرها الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين جـ ١ تحت عنوان الآداب الباطنة لقارئ القرآن . وقد تمت بتغيير سياقها إلى آداب السامع باعتبار أن السامع والقارئ شريكان فى القرآن هذا بقراءته وهذا بسماعه كما قلت فى أول الفصل .

قديمة قائمة بذاته تعالى – إلى أفهام العباد .. فتجلت لهم صفة الكلام الإلهية فى حروف وأصوات – وهى من خصائص كلام البشر – ولولا ذلك لعجزت أفهام العباد عن إدراك كلام الله الذى تجلى فى شكل كلمات وحروف منطوقة ومسموعة أو مكتوبة .. وأضرب مثلا يقرب الغرض وتصوره :

فنحن البشر حينما ننادى الحيوانات والطيور لنبلغها مرادنا هل نكلمها بعباراتنا المتداولة فيما بيننا أم أننا ننطق ألفاظاً تتواءم مع كل فصيلة من فصائل الحيوانات والطيور من قبل[1] : الصفير ، والنقر والعوعوة ، والهأهأة وغيرها ، فى حالات الطعام والشراب ، والجمع ، والتفريق ، والتوجيه فى السير وحين نكلم أطفالنا الصغار هل نكلمهم بكلام الكبار أم ننزل إلى طفولتهم فنسوق لهم الألفاظ التى يفهمونها مثلا .

وبهذه الأمثلة نستطيع أن نفهم أن الله عز وجل فى كلامه لا يتشابه مع كلامنا إلا أنه من لطفه ورحمته تجلى لنا بصفته العليا حتى نتمكن من سماعها بآذاننا ونطقها بألسنتنا وكتابتها بأيدينا .. فهل نتدبر هذا جيدا ؟ ولعل فى قصة تكليم الله سيدنا موسى ما يهدينا إلى فهم هذا الأمر الجلل والشأن الخطير[2] .

---

(١) من هذه الأمثلة ما ننطقها ولا نستطيع كتابتها فنقول للحمار (حا) وللحصان (شى) وللغنم فى التفريق (هر) والماعز (سك) والكلب فى النداء (تعو) والقط (بسبس) وفى التفريق (جر) ، (بس) .

(٢) فقد قص الله علينا قصة تكليمه سبحانه لموسى عليه الصلاة والسلام فى أكثر من موضع .. فقبل أن يخاطبه عز وجل هيأه بصفة معينة لا يعلمها إلا هو بحيث يتمكن بها موسى عليه السلام من الاستماع مباشرة بدون وساطة جبريل ولنقرأ هذه من سورة طه : « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً =

ثانيا ــ التعظيم للمتكلم : ينبغى لسامع القرآن أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يتلى ليس من كلام البشر وأن فى تلاوته غاية الخطر فإن الله يقول : « **لا يمسه إلا المطهرون** » فكما أن ظاهر غلاف المصحف وورقه محفوظ عن ظاهر بشرة اللامس غير الطاهر .. فكذلك باطن معنى القرآن ــ بحكم عزه وجلاله ــ محجوب عن باطن قلب الإنسان إلا إذا كان متطهراً من كل رجس ، ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير .

= لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » .

لقد قال له المولى : « وأنا اخترتك » وهذا الاختيار العلوى من العلى القدير ليكون موسى مهيئاً لتلقى الكلام من ربه عز وجل مشافهة بكيفية لا نعلمها ، وأخذ سبحانه فى مخاطبته : « وما تلك بيمينك يا موسى » سأله وهو أعلم بما فى يمينه لكى يأنس موسى ويذهب عنه روع الموقف الذى هو فيه من حيث لا يدرى .. وهذا تلطف من الله مع عبده ونبيه .

ورد موسى قائلا : « هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » . وبعد حالة الإيناس أراد الله تدريب موسى على مواجهة التحديات فقال : « ألقها يا موسى فألقاها فإذا هى حية تسعى » فخاف موسى مرة أخرى وارتاع لما رأى من خارق العادات فطمأنه الله قائلا : « خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » أى سنعيدها عصاً كما كانت ثم طلب منه شيئاً آخر فقال : « واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . لنريك من آياتنا الكبرى » وبعد هذا التدريب والإعداد كلفه الله بتبليغ التوحيد إلى فرعون الذى بلغ به الطغيان حداً جعل من نفسه إلهاً يعبد من دون الله قال تعالى فى سورة القصص : « وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقدلى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين » وبعد أن تلقى موسى من الله سبحانه=

وكما لا يصح لمس الغلاف بكل يد . فلا يصح لتلاوة حروفه كل لسان . ولا لنيل معانيه كل قلب . ولا لسماع آياته كل أذن .

ثالثا ـ حضور القلب وترك النفس : قيل فى تفسير قوله تعالى : « **يايحى خذ الكتاب بقوة** » أى بجد واجتهاد .. وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته (أو سماعه) منصرف الهمة إليه عن غيره . وقيل لبعض السلف : « إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشىء » فقال : « أى شىء أحب إلى من القرآن حتى أحدث نفسى به . . » .

وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية » .

= التكليفات التى كلف بها . . فقد قال الله له : « اذهب إلى فرعون إنه طغى » . وطلب موسى من الله سبحانه ما يعينه على تبليغ الدعوة إلى فرعون الطاغية المتكبر : « قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى . اشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى . كى نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً . إنك كنت بنا بصيراً » . فأجاب الله طلبه وما دعا به فقال : « قد أوتيت سؤلك يا موسى » يعنى الآن وعلى الفور صرت مشروح الصدر وميسر الأمر ، فقه القول ، فصيح اللسان . . . الخ ثم أخذ الله سبحانه يذكر موسى بما خصه به من الصغر من تعهد ورعاية فما قال له « وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى » وقال له : « ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى » أربعة أمور خطيرة الشأن فى تكوين موسى ليكون نبياً ورسولا وكليما لله سبحانه وهى : إلقاء محبة الله عليه ، واصطناعه على عين الله .. أى رعايته وتدبيره ، والمجىء على قدر الله وحكمته ، واصطناعه لنفس الله أى تكوينه موسى لإرادة ذات الله والنتيجة لهذه الأمور هى : اختيار الله لموسى ليكون كليما لله سبحانه وتعالى كما ذكر القرآن فى سورة النساء « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » . كل هذا جعل موسى فى حالة يستطيع بها أن يتلقى الكلم من الله مباشرة بكيفية لا يصل إليها إدراكنا ولا علمنا مهما حاولنا .. وفى هذه الحال لابد من الإذعان والتصديق والتسليم والإيمان .

ومن هذا نعلم أن معنى حضور القلب هو أن يكون القلب متأهباً فى شوق إلى تلقى ما تسمعه الأذن لا ينصرف عنه .. فقد تكون الأذن سامعة والقلب مشغول بهموم أو خواطر .. ومعنى ترك النفس أن السامع يهجر حديث نفسه فلا يذكرها مع سماعه القرآن .. وهذه الحالة تتولد عن حال تعظيم الكلام والمتكلم .

رابعا ــ التدبر : وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن . ولكنه يقتصر على سماعه من نفسه دون تدبر .. والمقصود من القراءة والسماع التدبر .. ولذلك قال الله عز وجل : « **فاستمعوا له وأنصتوا** » وقال : « **ورتل القرآن ترتيلا** » والترتيل من القارئ فى الظاهر يمكن القارئ والسامع من التدبر فى الباطن .. وقد قال الإمام على كرم الله وجهه : « لاخير فى عبادة لا فقه فيها ، ولا قراءة لا تدبر فيها » .

خامسا ــ التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها . والقرآن يشتمل على ذكر صفات الله وأفعاله ، وأحوال الأنبياء والأولياء والصديقين والصالحين والمتقين والشهداء ، وكذلك أحوال الكافرين والمكذبين والظالمين والمنافقين والمتكبرين ، وكذلك أحوال الآخرة وما فيها من حشر وصراط وميزان وجنة بصفاتها ونار بأحوالها .. وبالجملة فإن القرآن يشتمل على ما تحتاج إليه البشرية فى الدنيا ، وما ينتظرها فى الآخرة .. ففيه العقيدة ، والتشريع ، والسلوك .. فعلى المستمع عندما يسمع شيئاً مما ذكر أن يتمثله فى قلبه ويتخيله فى نفسه ويتصوره فى عقله ، حتى يتأثر به فى كل حال .

سادسا ــ التخلى عن موانع الفهم : إن أكثر الناس منعوا من فهم

معانى القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن .. وهذه الأسباب والحجب حصرها الإمام الغزالى فى أربعة :

١ ـ أن تكون الهمة منصرفة إلى تحقيق الحروف ـ وهو أن يستمع السامع إلى القارئ وهمته منصرفة إلى أن القارئ يخرج الحروف من مخارجها .. فهو يجلس كالمتربص بالقارئ ينتظر الخطأ منه ليشنع عليه ـ وذلك دون الالتفات إلى معانى الكلمات . وهذه وسوسة من الشيطان ليصرف الناس عن تفهم معانى الآيات والكلمات .

٢ ـ أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة .

٣ ـ أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا فإن ذلك يسبب ظلمة فى القلب وصدأ وهو كالصدأ على المرآة يمنع انعكاس المرئيات عليها وذلك يمنع الحق من أن يتجلى فى القلب وهو أعظم وأخطر حجاب .

٤ ـ أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما يتناوله النقل عن الأئمة السابقين ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى ، وأن من فسر بالرأى فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة .

سابعا ـ التخصيص : وهو أن يقدر أنه المقصود والمخصوص بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المقصود بذلك

الأمر أو النهى ، وإن سمع وعداً أو وعيداً قدر كذلك أنه الموعود أو المتوعد ، وإن سمع قصص الأولين قدر أنه المقصود بسياق العبر والعظات وحسن الأخلاق التى بها ، فيقوم نفسه على هداها .

ثامنا ــ التأثر : وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة باختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حالة من الحزن والخوف والأمل والرجاء والاستبشار .

تاسعا ــ الترقى : ويعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه إن كان قارئاً ، ولا من غيره إن كان سامعاً .. فدرجات القراءة والسماع ثلاث :

أولاها : أن يقدر كأنه يسمع من الله سبحانه وتعالى واقفاً بين يديه ، والله ناظر له ويسمع منه ، فيكون حاله فى ذلك هو : السؤال والتضرع والابتهال .

أوسطها : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ، ويناجيه بأنعامه فحاله هنا : الحياء والتعظيم ، والإصغاء والفهم .

أعلاها : أن يرى فى الكلام المتكلم ، وفى الكلمات الصفات .. فلا ينظر إلى نفسه ، ولا إلى سماعه ، ولا إلى تعلق الإنعام به ، من حيث أنه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهم للمتكلم ، موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره .. وهذه درجة المقربين ، وما قبلها درجات أصحاب اليمين ، وما خرج عن ذلك فهى درجات الغافلين .. قال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله : « لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكن لا يبصرون » وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : « لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن » .

عاشرا ــ التبرى : ويعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات بعين الرضـــا فإذا سمع آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد على نفسه عند ذلك . . بل يشهد الصالحين والموقنين . ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ، وإذا سمع آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً . . قيل ليوسف ابن أسباط : « إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ؟ فقال بماذا أدعو ! ! أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة » .

مسألة أولى: فى حكم القيام بالعبادات أو بأعمال دنيوية والقرآن يقرأ :

يحسن بنا أن نضع هذه المسألة فى صيغة سؤال وهو : هل يجوز للسامع والقرآن يقرأ أن يقوم بصلاة أو بعمل دنيوى كالنجارة والحياكة . . ؟

والجواب : بناء على ما تقرر فى أول الفصل الثانى ــ آداب السماع ــ من أن الأمر الوارد فى آية الأعراف « **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** » فقد تقـرر أن الأمر بالنسبة للمستمع المؤتم بإمامه فى الصلاة واجب فيجب عليه الاستماع والإنصات وإمامه يقرأ سواء قصد الاستماع أو لم يقصد بإجماع المذاهب على ذلك ، فى الصلاة الجهرية .

وبالنسبة للمستمع للقراءة فى غير الصـــلاة للندب فالسماع له سنة ، وبعض المذاهب يشترط فى ذلك القصد .. وبناء على ذلك يباح

له القيام بالصلاة ولو نفلا أو تطوعا . ويتأكد له القيام بالصلاة المفروضة أداء أو قضاء .. وفى هذه الحال يجب على القارئ خفض صوته حتى لا يهوش على المصلين .. ولذلك نجد مساجد الذين يسيرون على السنة الصحيحة تمنع قراءة القرآن وقت انتظار الجمعة .. وذلك لعدم التشويش على المصلين ، ولأنها تعتبر بدعة مستحدثة لم يسبق لها سابقة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة من بعده .

وأسوق دليلا على ما قلته من الإباحة لمستمع القرآن فى غير الصلاة القيام بعبادة فرضية أو نفلية : ما رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب جـ ١ ص ١٠٣ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم .. قالوا وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم ها هنا .. ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟! قالوا وأين هو ؟ قال فى المسجد .. فخرجوا سراعاً .. ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم مالكم ؟ فقالوا : يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم : فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم فى المسجد أحداً ؟ قالوا بلى رأينا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن . وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام .. فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم .

قال المنذرى : رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد صحيح .

ومن هذا الحديث نعلم أنه يجوز للمستمع فى غير الصلاة أن يقوم بعبادة مع قراءة القرآن ، وكذلك الأثر الذى ذكرته فى أول الفصل فى رواية الطبرانى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز وفيه أن طلحة رأى اثنين هما عبيد بن عمير ، وعطاء بن أبى رباح يتحادثان والقاص يقص – أى الواعظ – .

أما بالنسبة للأعمال الدنيوية فقد مر آنفاً حكم الفقهاء وأنهم أباحوا لمن فى مجلس القرآن أن يتحدث إذا دعت الضرورة ، والضرورة وعدمها يحتملان فى الكلام ، أما العمل المعيشى فلا يحتمل إلا الضرورة وعلى ذلك يباح أيضا الجمع بين الاستماع وأداء العمل .. والدليل على ذلك ما رواه مسلم فى صحيحه عن معاوية بن قرة قال : سمعت عبد الله ابن مغفل المزنى يقول « قرأ النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع فى قراءته »[1]. والحديث يستدل به على تحسين الصوت ، ويستدل به على هذه المسألة التى نتحدث فيها حيث أن بعض الصحابة كان كل منهم مشغولا بعمله والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ .

ولكن هناك أعمال غير ضرورية بل هى نوع من العبث واللهو والقرآن يقرأ فالحكم هنا مختلف فتحرم هذه الأعمال لأنه إعراض عن سماع القرآن . . وهذا ما ينطبق على رواد المقاهى الذين يمارسون ألعاب النرد والميسر وصوت القرآن ينبعث من خلال أجهزة الإذاعة أو آلات التسجيل وسيأتى حكم المعرض عن سماع القرآن .

مسألة ثانية : هل يجوز الاستماع على غير طهارة ؟

نعم يجوز للمستمع غير الطاهر ولو جنباً أو حائضاً أو نفساء بالنسبة للمرأة أن يستمع القرآن .. وذلك لحديث البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتكئ فى حجرى وأنا حائض ثم يقرأ القرآن .

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب ذكر قراءة النبى صلى الله عليه وسلم سورة الفتح يوم فتح مكة : ٢/١٩٣ وانظر صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب الترجيع : ٦/٢٤١

وفى هذا إباحة لغير المتوضئ (من باب أولى) سماع القرآن الكريم . . والله تعالى أعلم .

مسألة ثالثة : حكم المعرض عن سماع القرآن مرغماً أو مختاراً.

المعرض مرغما لا يسمى معرضاً ولا يوصف به ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والمكره غالباً ما يكون مغلوباً على أمره وإرادته مثل الأسير والسجين والمريض المقعد ومن به صمم والمكلف بالحراسة أو يعمل على هاتف (تليفون) أو برق (التلغراف) وما شابه ذلك كل هؤلاء لا إثم عليهم ولا حرج .

أما المعرض مختاراً وهو من خلا من الأعذار التى تحول بينه وبين السماع فهو الذى يعرض بمحض اختياره .. فهذا يدخل تحت طائلة الآية الكريمة القائلة : « **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** »[1] .

وقوله تعالى : « **وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم** »[2] .

وبما أن هذه الآيات تتوعد هذا المعرض وأمثاله عن سماع القرآن بدون عذر فإنه يكون آثم النفس جاحد القلب عاصياً لله تعالى .

---

(١) الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧

(٢) سورة لقمان ، آية : ٧

وإن لم يشمله عفو الله فإن له سوء المنقلب وخيم العاقبة ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

نعوذ بالله السميع العليم من هذا المصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

والله تعالى أعلم .

• • •

مراجع الكتاب

١ ــ **تفسير القرآن العظيم**

للحافظ ابن كثير .. وهو أبو الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر ابن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشى ٧٠٠ إلى ٧٧٤ هـ .
تحقيق د. عبد العزيز غنيم و د. محمد ابراهيم البنا و د. محمد احمد عاشور (دار الشعب بالقاهره)

٢ ــ **تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن**

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى (دار الشعب بالقاهرة)

٣ ــ **صحيح البخـــارى**

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن يردذبه البخارى الجعفى أمير المؤمنين فى الحديث ، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ (تصحيح إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة) .

٤ ــ **صحيح مسلم بشرح النووى**

للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أبو الحسين الحافظ .. والنووى هو الإمام يحيى بن شرف بن مرى حسن بن حسين بن حزام النووى الشافعى أبو زكريا محى الدين .
تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة (طبعة دار الشعب بالقاهرة) .

٥ – سنن ابن ماجه

هو العلامة الإمام محمد بن يزيد أبو عبد الله بن ماجة القزويني (المطبعة العلمية بالقاهرة) ومعه حاشية الإمام أبي الحسن محمد ابن عبد الهادي الحنفي المتوفى سنة ١١٣٨ هـ الشهير بالسندي .

٦ – نوادر الأصول

للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشير المؤذن .. الشهير بالحكيم الترمذي .

٧ – الترغيب والترهيب

للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذر المتوفى سنة ٦٥٧ هـ ضبطه وعلق على أحاديثه الأستاذ مصطفى محمد عمارة (مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة) .

٨ – موطأ الإمام مالك

للإمام مالك بن أنس . . صححه وخرج أحاديثه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (دار الشعب بالقاهرة) .

٩ – قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

للإمام محمد جمال الدين أبي الفرج بن محمد سعيد بن قاسم ابن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ تحقيق فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار عضو المجمع العلمي العربي .

١٠ – البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة) .

١١ ـ التبيـــان فى آداب حملة القرآن

للإمام أبو زكريا يحى بن شرف الدين النووى الشافعى ٦٣١ ـ ٦٧٧ هـ وبه حاشية فتح الكريم المنان فى آداب حملة القرآن لفضيلة الشيخ على بن محمد المعروف بالضباع المصرى (مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة) .

١٢ ـ الإتقان فى علوم القرآن

للإمام جلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هـ . وبهامشه إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ (مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة) .

١٣ ـ تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

لفضيلة الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى الخطاط كاتب مصحف مكة (مطبعة مصطفى الحلبى) .

١٤ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن

لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى . (مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة) . طبعة ثالثة .

١٥ ـ مباحث فى علوم القرآن

للدكتور صبحى الصالح : أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة فى كلية الآداب بالجامعة اللبنانية .

١٦ ـ الجمع الصوتى الأول للقرآن (المصحف المرتل)

بواعثه ومخططاته .. للاستاذ لبيب السعيد (دار الكتاب العربى للطبع والنشر) .

١٧ – إحياء علوم الدين

للإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسى الغزالى (مطبعة مصطفى الحلبي) .

١٨ – فيض القدير شرح الجامع الصغير

للعلامة الإمام محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوى .. وهو شرح على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير والنذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى .

١٩ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ ﻫ بتحرير الحافظين الجليلين العراقى وابن حجر (الناشر مكتبة القدسى بالقاهرة) .

٢٠ – من أخلاق العلماء

لفضيلة الشيخ محمد سليمان .

٢١ – الفقه على المذاهب الأربعة (عبادات)

إعداد وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية .

٢٢ – مقدمة ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى .. وقد ألفها سنة ٧٧٩ ﻫ .

٢٣ – الإسلام فى عصر العلم

للدكتور محمد أحمد الغمراوى .. إعداد الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى وكيل وزارة التربية والتعليم سابقاً .

٢٤ – لسان العرب

للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن الإمام جلال الدين مكرم بن الشيخ نجيب الدين المعروف بابن منظور الأفريقى المصرى الأنصارى الخزرجى (طباعة الدار المصرية للتأليف) :

محتویاتِ الکتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٦٩ / ١٩٧٦

دار الاعتصام

القاهرة - ٨ شارع حسين حجازى تليفون ٣١٧٤٨